الحال
توزع مجاناً
home.birzeit.edu/media

عيديات فلسطينية

لا أدري تمامًا متى بدأ الفلسطينيون يرددون عبارة كل عام وأنتم بخير، المرجح أنهم يفعلونها منذ زمن بعيد، والمستغرب أنهم يقولونها بثبات وتلقائية. فترى العبد الفقير إلى الله يقول للعبد الفقير الآخر: كل عام وأنت بخير، ويرد الآخر بالمثل، مع أنهما يكادان يوقنان أن لا خير آتٍ ولا خيرات.

نقولها ليلة ثبوت هلال رمضان، وليلة ثبوت هلال شوال، ويوم النحر، ويوم التسامح، ويوم الأرض، ويوم المرأة، ويوم الأسير، ويوم الشجرة، ويوم حرية الرأي والتعبير، ويوم التضامن مع الشعب الفلسطيني، ويوم اللاجئ، وغيرها من هذه المناسبات المُذكِّرة جدا بالألم.

يبدو أن الفلسطينيين يؤمنون بما قاله الشاعر الفرنسي موسيه: "لا شيء يجعلك عظيمًا غير ألم عظيم"، ويبدو أنهم في كل عيد "يُحَوّشون" الألم لا العيديات– قليلاً أو كثيرًا – ليصبح عظيمًا بما يكفي لنهاية عظيمة.

رئيسة التحرير

الثلاثاء ٢/١٢/٢٠٠٨ الموافق ٤ ذي الحجة ١٤٢٩هـ | (١٦ صفحة) | الحـال – العدد الثالث والاربعون – السنة الرابعة

المصالح السياسية للأحزاب حالت دون وضع القضايا النسوية على أجندة "التشريعي"

امرأة واحدة تقتل في فلسطين كل أسبوعين باسم "الشرف" وتحت حماية القانون

أيهم أبوغوش

في الوقت الذي يحتفل فيه العالم هذه الايام بمناسبتَي "اليوم العالمي لمكافحة العنف ضد النساء"، و"ذكرى مرور ٦٠ عامًا على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان"، تجد المؤسسات الحقوقية والنسوية الفلسطينية نفسها أمام معيقات حقيقية في أحداث اختراق في مجتمع ذكوري يميز سلبًا ضد المرأة، إلى درجة دفعت هذه المؤسسات إلى استخدام مصطلحات مثل "قانون الاسرة" عوضًا عن "قانون حماية النساء" في محاولة لإقناع المجتمع بالاعتراف بحقوق المرأة.

سارة على سبيل المثال لا الحصر لم تدر أن مطالبتها شقيقها بحصتها من الميراث ستكلفها حياتها وليس هذا فقط بل تلصق بها تهمة "القتل على خلفية الشرف".

ومن لم يسمع بقصة ساره نخبره أن سارة متزوجة وقد قتلت مؤخرًا على يد أخيها وأبناء أخيها لا لشيء إلا لأنها كانت على خلاف معهم على ملكية أرض.

شقيقة سارة التي فضلت عدم الكشف عن اسمها تقول: "السبب وراء القتل هو الأرض وليس الشرف". ويقول قريب للأخ القاتل إنه (الأخ) كان مستعدًا لقتل أيٍّ من أخواته إذا تجرأن على طلب حصصهن في الميراث.

لقد كان قتل سارة على يد أخيها تحت يافطة "الشرف" أمرًا قابلاً للتبرير وعقوبته مخففة حسب القوانين المعمول بها في الأراضي الفلسطينية، فقد أخذ بكلام الجاني دون نقاش واستفاد من مادة قانونية تتيح له الإفلات بفعلته دون أن يخضع لمساءلة جنائية.

هذه لم تكن سوى حادثة واحدة لعشرات الحالات التي تم فيها قتل إناث في الأراضي الفلسطينية على أيدي أقربائهن الذكور بدعوى الدفاع عن "الشرف" ثم نالوا عقوبة مخففة.

أغلبية من قتلن شريفات وأكثر

الإحصائيات المتوفرة لدى المؤسسات الرسمية والنسوية والدولية بما فيها منظمة العفو الدولية تشير إلى أن ١٢١ امرأة قتلن في الأراضي الفلسطينية على خلفية "الشرف" خلال الأعوام الستة الأخيرة بما فيها العام الحالي الذي قتلت فيه ١٩ امرأة، وهو ما يعني أن امرأة واحدة تقتل في الضفة وغزة تقريبًا كل أسبوعين. وتؤكد المؤسسات النسوية والحقوقية أن أغلبية النساء اللواتي تعرضن للقتل بداعي "الدفاع عن الشرف" لم تثبت عليهن تهمة التلبس بفعل جنسي فاحش وفي حالات كثيرة ثبت العكس: براءتهن من التهمة والجريمة بررت بأنها "دفاع عن الشرف".

المادة ٣٤٠ من قانون العقوبات الأردني لعام ١٩٦٠ الساري المفعول في الضفة الغربية تمنح إعفاء من المقاضاة أو عقوبة مخففة للأزواج أو الأقرباء الذكور بصلة الدم الذين يقتلون أو يعتدون على زوجاتهم أو قريباتهم الإناث على خلفية شرف العائلة. وفي القانون المصري لعام ١٩٣٦ مادة شبيهة تعفي الذكور القتلة لقريباتهن على خلفية الشرف من تهمة القتل العمد وتمنحهم حكمًا مخففًا.

ورغم مرور قرابة ١٦ عامًا على إقامة السلطة الفلسطينية غير أن قوانين العقوبات المعمول بها في الأراضي الفلسطينية تتناقض مع القانون الأساسي للسلطة نفسها والذي ينص على أن جميع أفراد المجتمع متساوون أمام القانون بغض النظر عن العرق أو اللون أو الديانة أو الجنس أو القناعات السياسية أو الإعاقة، غير أن النص القانوني بشأن المساواة بين الجنسين لم تتم ترجمته بشكل فعلي في كافة القوانين الصادرة، فحتى اللحظة لم يصدر المجلس التشريعي قانون الأسرة الفلسطيني أو قانون العقوبات الفلسطيني، لذلك لا يزال تطبيق قانون الأسرة الأردني لعام ١٩٦٠ ساريًا في الضفة والقانون المصري لعام ١٩٣٦ في قطاع غزة. في حين أن نصوص قانون الأسرة والعقوبات السارية وخاصة تلك المتعلقة بقتل النساء لا تكفل المساواة بين الجنسين، فإنها تعطي تصريحًا للذكور بقتل الإناث بداعي "الدفاع عن الشرف" وتشكل حصانة للجاني بمنحه عقوبة مخففة.

ثورة الغضب للرجال فقط

تقول خديجة البرغوثي باحثة ومحامية في الهيئة المستقلة لحقوق المواطن: "ثورة الغضب التي ينص عليها القانون المعمول به حاليًا يعطي عذرين للرجل، الأول إذا ضبط أحد أصوله أو فروعه من الدرجة الأولى في فعل جنسي مع غير زوجها يحق له قتلها ويكون معفيًا تمامًا من العقوبة، والثاني عذر مخفف إذا عرف فيما بعد وذهب وقتل المرأة، أو قتل الشريكين، يعاقب فقط بالسجن سنتين كحد أقصى وربما يفرج عنه بغرامة مالية".

وتؤكد البرغوثي أن القانون فيه تمييز فاضح ضد النساء وتصريح علني بقتلهن، مشيرة إلى أنه في حالة كان الرجل هو الذي يقوم بفعل جنسي مع غير زوجته وقامت هي بقتل زوجها أو شريكته أو الاثنين معا، تعاقب بارتكابها جريمة قتل مع سبق الإصرار والتي تتراوح عقوبتها بين ١٥ عامًا والإعدام".

ويؤكد عبد الكريم أبو صلاح رئيس ديوان الفتوى والتشريع أن قانون العقوبات المعمول به في الأراضي الفلسطينية لم يعد ملائمًا للإيفاء بالاحتياجات المجتمعية، قائلا: "إن الأساس الذي وضعت بموجه المادة ٣٤٠ من قانون العقوبات الأردني لعام ١٩٦٠ تنم عن عقلية قبلية، مقرًا أن هذه المادة لا تتوافق مع الحضارة الإنسانية ولا مع الشرائع الدينية بل تتناقض معهما.

على الرف..

جهود نسوية عديدة بذلت خلال السنوات الماضية لرفع الظلم الواقع بحق المرأة الفلسطينية،غير أن هذه الجهود لم تؤت أكلها. فحتى اللحظة لم يجر إقرار أو تعديل بند قانوني واحد لا من قبل المجلس التشريعي السابق ولا الحالي من شأنه يرفع الظلم الواقع على المرأة. وتمخضت كل الجهود النسوية عن إقرار قراءة أولى في المجلس التشريعي لمشروع قانون عقوبات فلسطيني بتاريخ ٢٤ نيسان ٢٠٠٣، ولم يجر فيما بعد إجراء قراءات أخرى للمشروع المقترح وبقي بالتالي على الرف.

مشروع قانون العقوبات الفلسطيني المقترح يتضمن الحبس على من فوجئ بمشاهدة زوجته في حالة تلبسها في فراش واحد مع شريكها وقتلهما في الحال أو قتل أحدهما أو اعتدى على أحدهما أو كليهما في اعتداء أفضى للموت أو عاهة مستديمة، وتستفيد من نفس المادة الزوجة التي فوجئت بمشاهدة زوجها في حالة تلبسه بجرم الزنا أو في حالة وجوده في فراش الزوجية مع شريكته فقتلتهما في الحال أو قتلت أحدهما أو اعتدت على أحدهما أو كليهما في اعتداء أفضى إلى الموت أو عاهة مستديمة.

ويبين أبو صلاح أنه رغم اعتراض بعض المؤسسات الأهلية على المادة الواردة، غير أنها تساوي بين الرجل والمرأة، وتعطي الزوجه حكمًا مخففًا أسوة بالرجل الذي وقع تحت تأثير مشاهدة الخيانة الزوجية. ونوه إلى أن الحكم الوارد في المادة رقم ٢٥ من قانون العقوبات الفلسطيني ينص على حكم الزوج أو الزوجة التي قتلت تحت تأثير مشاهدة الخيانة حكمًا بالسجن لا يقل عن أسبوع ولا يتجاوز السنوات الثلاث، مبينًا أن الفلسفة من الحكم المخفف عدم التسبب بمزيد من التفكك لأسرة قتلت فيها الأم أو الأب على خلفية "الشرف"، فغالبًا ما يكون الأولاد بأمس الحاجة لأحدهما بعد مقتل الآخر.

علمانية.. يسارية.. ضد النسوية

وتعزو المؤسسات النسوية عدم وضع قضايا المرأة على جدول أعمال التشريعي بما في ذلك إقرار قانون للعقوبات وقانون لحماية الأسرة إلى تضارب تلك القضايا مع مصالح سياسية للأحزاب بما فيها العلمانية واليسارية الممثلة في المجلس التشريعي. وتقول ديمة النشاشيبي نائبة مديرة جمعية المرأة للإرشاد القانوني والمجتمعي: "في مجتمعنا ليس فقط الأحزاب اليمينية بل اليسارية كذلك لا تضع القضايا النسوية على أجندتها، فكثيرًا ما كانت الأحزاب تضحي بالقضايا النسوية على حساب مصالح سياسية وخوفًا من إغضاب المجتمع الذكوري الرافض لإعطاء المرأة حقوقها".

تلخص هبة طيبي منسقة ميدانية على مشروع "بإمكان النساء القيام بذلك" التابع لمؤسسة هنريش بول التحديات التي واجهت الحركة النسوية في فلسطين وفي الدول العربية بشكل عام والتي تحول دون إقرار قوانين لمناهضة العنف ضد النساء بقولها: "معظم الدول العربية لا ترغب أصلاً في إقرار قوانين من هذا النوع لأنها نفسها تمارس العنف ضد النساء والرجال على حد سواء، ومن جهة ثانية المجتمع لا يرغب في الاستجابة لإقرار قوانين لحماية المرأة من العنف بسبب عادات مجتمعية رافضة لتقبل أفكار تعتقد بأنها مستوردة.

لماذا فشلت وزارة المرأة

وزارة شؤون المرأة التي استحدثت عام ٢٠٠٣ لم تغير حتى اللحظة من واقع القوانين التي تعتبرها الحركة النسوية مجحفة وتمييزًا بحق المرأة. وتقول فاتنة وظائفي مدير عام الإدارة العامة للتخطيط والسياسات في وزارة شؤون المرأة: "الوزارة تسعى لتعزيز مكانة المرأة الفلسطينية ودورها، حتى تشارك وتساعد في بناء الوطن الديمقراطي ولتأسيس مجتمع مدني فاعل تحكمه القيم الوطنية والحضارية والإنسانية، وتم إنشاء الوزارة لوجود حاجة داخل المجتمع لإزالة التمييز ضد قضايا المرأة". واقتصر دور الوزارة خلال الفترة الماضية على مراجعة القوانين والتشريعات السارية المفعول، وفحص الفجوات الموجودة فيها واقتراح تعديلات جديدة أو الدفع باتجاه استحداث قوانين جديدة. ولكن لماذا عجزت الوزارة حتى اللحظة عن الدفع باتجاه إقرار قوانين تنصف النساء لا سيما فيما يتعلق بالبنود المبيحة للقتل؟ تجيب وظائفي: "قضية المرأة سياسية بالإضافة إلى كونها قضية مجتمعية، مفهوم المجتمع بالنوع واعترافه بالإجحاف بحق النساء قضية تحكم عمل المجلس التشريعي وغيره من المؤسسات، وبالتالي نواب التشريعي عكسوا دومًا الخلفية الثقافية الذكورية للمجتمع، بالإضافة إلى استخدام قضايا المرأة من قبل الأحزاب والسياسيين كورقة مساومة يتم التنازل عنها إرضاء لأطراف معينة".

ويبدو أن شلل المجلس التشريعي الحالي بسبب حالة الانقسام السائدة والاحتراب الداخلي يقف حجر عثرة في الوقت الراهن دون إقرار قوانين لحماية النساء من العنف بل وحجر عثرة أمام سن أية قوانين جديدة. ويقول عبد الكريم أبو صلاح رئيس ديوان الفتوى والتشريع: "إن المجلس التشريعي الحالي ولد ميتًا وهو لم يقر قانونًا واحدًا"، داعيًا مؤسسات المجتمع المدني إلى الضغط على السلطة التنفيذية لإقرار قانون العقوبات الفلسطيني بقرار رئاسي إلى حين انعقاد المجلس التشريعي أو انتخاب مجلس تشريعي جديد ينظر في مجمل القوانين. وتعتقد النشاشيبي أن المطلوب حاليًا هو أكثر من الضغط لإقرار قوانين مطالبة بحملة توعية شاملة بحقوق النساء تشمل الرجال والنساء على حد سواء. وتضيف: "المجلس التشريعي الحالي لم يفعل شيئًا لا للمؤسسات النسوية ولا لغيرها، وإذا لم يستطيعوا فعل شيء فليستقيلوا ويتركوا المجال لغيرهم". وتؤكد الوظائفي أن إقرار الرئيس قانونًا بقرار لحماية النساء لن يحل المعضلة، لأن المطلوب هو توعية وتثقيف أعضاء التشريعي أولاً والمجتمع ثانيًا.

الرئيسة عشراوي

عارف حجاوي

الرئيس عباس "هدد" بانتخابات إذا لم تتم مصالحة وطنية. والمجلس المركزي للمنظمة طيَّب خاطره وانتخبه رئيسًا لدولة فلسطين بفتوى من الزعنون. وحماس قدمت زعبرة دستورية. والعنصر الغائب من هذه الحكاية هو نحن: قطيع الخراف.

الأزمة المقبلة سيكون اسمها "تكرار" الانتخابات. فتح تخاف من تكرار النتيجة الغلط التي حصلت عليها في المرة الماضية، وحماس تخاف على أغلبيتها الحالية في التشريعي. وأميركا لا تريدنا أن ننتخب. ومصر والأردن وكل الدول العربية لا تريدنا أن ننتخب.

أنا أفهم شعور الرئيس عباس. فالمرء في مثل هذا المنصب يشعر أنه يريد أن يكمل مشروعه، ولا يأتمن على هذا المشروع أحدًا. وقد رأينا هذا في طوني بلير رئيس وزراء بريطانيا الذي قلعه حزبه من منصبه قلعًا. ورأيناه في مارغريت ثاتشر التي قلعها حزبها قلعًا.

ولكن رئيسنا زاهد في المنصب أصلاً. وهو ليس شابًا. ومن حقه أن يستريح. ومشروعه –بصراحة– واقف.

مشكلة حركة حماس أنها تدار من الخارج، فأثرها في السياسة الداخلية في فلسطين مهزوز، وقادتها في قطاع غزة مجرد وكلاء لمكتب سياسي يملأ شراعه بريح غير فلسطينية.

الانتخابات التشريعية ستفرز في الأغلب مجلسًا أكثر تنوعًا هذه المرة. والانتخابات الرئاسية ضرورية لأن الانتخابات التي تكون لمرة واحدة ليست انتخابات. وسنتجاوز عن نكتة انتخاب المجلس المركزي لعباس رئيسًا.

أنصح النائبة حنان عشراوي بالترشح لمنصب الرئيس. فهي شخصية وطنية مهمة لم تتلون فصائليًا. وقد خبرت السياسة، وعرفت دهاليزها. والحمساويون، بوصفهم يخجلون من النساء، سيغضون البصر، وسيطاوعونها. والفتحاويون سينتفعون من فترة رئاستها، لأنها ستمنحهم فرصة لتجديد الدم في حركتهم العجوز.

والمادة الخامسة، الباب الأول، في الدستور الفلسطيني تضمن "للمواطنين، أيًا كانت عقيدتهم الدينية، المساواة في الحقوق والواجبات". وحق الترشح للانتخابات حق دستوري. ومن جهة أخرى فالمرأة أفضل من الرجل في مقعد القيادة، ومن تجربتي الشخصية فقد عملت في وظائف شتى وكان لي مديرون رجال، ثم اتفق أن كانت لي على مدى بضع سنوات مديرة سيدة، وكانت أبرع مدير مر على رأسي.

أتطلع إلى مقال مقبل أنتقد فيه الرئيسة عشراوي. لكنني أتوقع حقًا أن تكون كمديرتي تلك.

دعوة عباس لانتخابات تشريعية ورئاسية بين أخذ رجال السياسة والقانون وعطائهم

خاص بـ «الحال»

تشهد الساحة الفلسطينية الداخلية هذه الأيام مشاحنات حادة بين رجالات السياسة، حول مدى قانونية ما يصدره الرئيس محمود عباس من تصريحات تدور في فلك الدعوة لانتخابات رئاسية وتشريعية مبكرة في حال فشلت جولات الحوار الفلسطيني–الفلسطيني المرتقبة في القاهرة، مستثنين منها رجال القانون الذين شعروا بامتعاض شديد على اعتبار أنهم المرجعية والأقدر على البت في أية مسألة قانونية حتى وإن كانت غاية في التعقيد كما هو الحال مع "مدة ولاية الرئيس محمود عباس".

ويأتي هذا التعقيد كون الرئيس محمود عباس لم ينتخب في ظل وجود قانون يحدد فترة ولايته بأربع سنوات فقط من تاريخ الانتخاب، وإنما انتخب في ظل شغور منصب رئيس السلطة بعد وفاة الرئيس ياسر عرفات ليكون عباس خليفته طوال المدة الانتقالية.

إلا أن تلك المشاحنات والتي طفت على السطح قبل أيام وتحديدًا بعد اعلان الرئيس محمود عباس خلال اجتماع المجلس المركزي التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية متزامنة مطلع العام المقبل في حال فشل حوار الفصائل الفلسطينية في القاهرة، وأيضًا مع قرب انتهاء ولايته من وجهة نظر حماس، تحولت إلى وصلات من "الردح" المتبادل، وإطلاق النكات والعبارات الساخرة على شاشات التلفزيون والقنوات الإخبارية، في محاولة من كل طرف لإثبات وجهة نظره، ما أدى إلى اتساع دائرة الأزمة بانضمام بعض الجهات العربية والدولية لها، وهذا كان جليًا خلال جلسة وزراء الخارجية العرب الأخيرة في القاهرة والتي وصفت "بالعاصفة جدًا".

ونظرًا لما أحدثته تلك الحروب –بين رجالات السياسية مستخدمين فيها كل ما تيسر لهم من "فنون الكلام" – في نفس المواطن الفلسطيني الذي مل من طرفي النزاع في انتظار ساعة فرج تنقذه بعد أن أتى الانقسام على الحجر قبل البشر، كان لا بد لنا من إتاحة الفرصة لأهل الاختصاص من رجال القانون "الغاضبين" وإعطائهم مساحة إعلامية بعد أن امتلأت شاشات التلفزيون بنظرائهم السياسيين.

"على رجال السياسة التدقيق في كلام الرئيس محمود عباس وعدم تحميله أكثر مما يحتمل، فالرجل (عباس) لم يخالف القانون في دعوته لإجراء انتخابات متزامنة في حال فشل الحوار لأنه لم يحدد تاريخ تلك الدعوة، ولم يظهر مستقبل الحوار بعد" هكذا عقب موسى أبو ملوح أستاذ القانون المدني بجامعة الأزهر في مدينة غزة.

وقال أبو ملوح لـ"الحال": "حددت المادة ١ من القانون الأساسي المعدل لسنة ٢٠٠٥ القاضي بتعديل القانون الأساسي المعدل لسنة ٢٠٠٣، ولاية الرئيس بأربع سنوات، وتبين من المادة ١١٦ من القرار بقانون رقم ١ لسنة ٢٠٠٧ أن مدة الرئيس تنتهي بإجراء انتخابات رئاسية متزامنة مع الانتخابات التشريعية القادمة".

وأضاف أبو ملوح: "وبناء على ذلك فان ما صدر من احتجاجات كان من ضمنها القرار رقم (١١٧٨ / ١ / ٣) الذي صدر عن المجلس التشريعي في ٦ / ١٠ / ٢٠٠٨ المتضمن القول بانتهاء ولاية رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس في ٨/١/٢٠٠٩ باطل لمخالفته القانون الأساسي الفلسطيني".

ورأى أبو ملوح أن ما يصدر من اعتراضات تعد على مبدأ الفصل بين السلطات وفق المادة ٢ من القانون الأساسي المعدل والتي تنص على أن (الشعب مصدر السلطات ويمارسها عن طريق السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على أساس مبدأ الفصل بين السلطات)، قائلا: "السلطة القضائية هي التي تفصل في دستورية قانون الانتخابات، وما دام الأمر لم يرفع إلى القضاء ليقول كلمته، فلا تستطيع السلطة التشريعية (المجلس التشريعي) أن تقرر انتهاء مدة ولاية رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية في ٨ انون الثاني ٢٠٠٩".

من جهته رأى أكرم عطا الله الكاتب والمحلل السياسي أن تأثير دعوة الرئيس عباس تسير في اتجاهين الأول إمكانية تعزيزها للانقسام خاصة وأنها جاءت في وقت شحنت فيه النفوس، لكن في المقابل تبدو أن خيارات منظمة التحرير تقل أمام رفض حماس الذهاب لحوار القاهرة، ما جعل الخيارات محدودة أمام الرئيس فاتخذ ما يراه مناسبًا للخروج من الأزمة.

وأضاف عطا الله: "دعوة عباس خلال اجتماع المركزي هي أداة من أدوات الضغط على حماس بهدف إرغامها على الموافقة على الانتخابات أو الذهاب لحوار فلسطيني أكثر جدية في المرة المقبلة".

وحول مطالبة وزراء الخارجية العرب الرئيس محمود عباس بالبقاء على رأس منصبه إلى حين الاتفاق على موعد محدد للانتخابات، عقب عطا الله بالقول: "الدول العربية تعرف أنه لولا الانقسام لم يكن أحد ليطرح مسألة نهاية ولاية الرئيس عباس وبالتالي فهم أرادوا الخروج بموقف موضوعي بعيدًا عن التجاذبات السياسية في هذه المسألة".

وحول تنصيب المجلس المركزي للرئيس محمود عباس رئيسًا لدولة فلسطين رأى عطا الله أنه قرار صحيح ومتأخر جدًا بعد أن اكتشف الشعب الفلسطيني أنه دون رئيس طوال أربع سنوات منذ وفاة عرفات خاصة أن الانقسام سيضعنا أمام تشكيك بشرعية رئيس السلطة وفراغ في رئاسة الدولة".

أما المحلل عدنان أبو عامر، فأكد أن دعوة عباس الأخيرة ستعمل على زيادة الانقسام وتحوله من حالة استثنائية لحالة شاملة ينتج منها كيانان ودولتان ورئيسان، مشددًا على تعارض تلك الدعوة مع دعوته بإنجاح الحوار الذي لا يمكن انجازه تحت الضغط والتهديد.

وكان محمد الغول وزير العدل وشؤون الأسرى في الحكومة المقالة أعلن أن دعوة عباس بإجراء الانتخابات صحيحة حيث كان من المفترض الدعوة لإجراء انتخابات رئاسية قبل ثلاثة أشهر من انتهاء ولايته، في حين أنه أخطأ فيما يتعلق بدعوة لانتخابات تشريعية قبل انتهاء المدة الدستورية للمجلس والمقررة في ٢٤/١/٢٠١٠.

وبين هذا الرأي وذلك لا يسعنا إلا القول إن ما شرعه رجال القانون وتمت الموافقة والبناء عليه في أية عملية سياسية يجب أن يكون الفصل والحكم في أية عقبة قانونية إضافة إلى أن "التوافق الوطني" على أية مسألة كفيل بإنهاء الأمور القانونية العالقة ليبقى الرهان على من انتخبناهم وحملناهم أمانة الوطن والمواطن.

الشعب فقط هو صاحب الحل..

طلال عوكل

كم مرة علينا أن ننبه أصحاب القرار السياسي في بلادنا إلى أهمية الإصغاء جيدًا لصوت الناس، واتجاهات الرأي العام الفلسطيني الذي يبدي حساسية مفرطة خصوصًا في مراحل الأزمات الكبرى كالأزمة التي يعاني منها الوطن الفلسطيني منذ الانتخابات التشريعية الأخيرة. ولا يتصل الأمر بنقد السياسات التي تقدم المصالح الحزبية على المصالح الوطنية والأهداف العامة للشعب وإنما أكثر من ذلك، فإن قراءة اتجاهات الرأي العام تشكل واحدًا من أهم شروط اتخاذ القرار السليم. في هذا المقام أستعير جملة تعودت الفصائل أن تستهل بها بياناتها، والتي يدعي كل منها أن الأحداث جاءت لتأكيد صحة تحليله ومواقفه، لأسجل عن قناعة أن الرأي العام هو صاحب الحق إزاء هذا الادعاء. لا حل لأزمة الانقسام الفلسطيني، ولا تتوانى إسرائيل عن دفعها نحو الفصل الكامل لقطاع غزة، سوى بالعودة إلى الشعب لكي يحسم الأمر عبر انتخابات جديدة.

فإجراء انتخابات ديمقراطية على أساس التمثيل النسبي الكامل التي هي كلمة السر في كل المبادرات والاقتراحات التي جرى ويجري تداولها في سوق البحث عن حلول لأزمة الانقسام الخطير الدامي. صناديق الاقتراع من شأنها أن تحكم على ادعاءات كل الأطراف، الكبيرة والصغيرة ومن خلالها تتحدد الخيارات والرؤى والتطلعات، وحتى طبيعة النظام الذي نريد. وعلينا أن نلاحظ أن الرأي العام الفلسطيني لم يبد تفاؤلاً وحماسة ولم يراهن على المبادرات والحلول العربية، بعد أن فقد ثقته ورهانه على حسن نوايا الأطراف المتصارعة، وعلى الإرادات الفصائلية، لمعالجة الأزمة وها هي الأحداث تأتي لتؤكد صحة هذا الاستنتاج. فمن صنع المأساة ما زال بعيدًا عن إرادة امتلاك إرادة الذهاب إلى مساومات وتنازلات على حسابه لصالح المصالح الوطنية، وحين تسلم العرب المبادرة تصرفوا من واقع عجزهم عن مساعدة أنفسهم، ومن واقع انقساماتهم على خلفية المصالح القطرية والتطلعات والارتباطات الإقليمية. إن من يعجز عن مساعدة نفسه لا يملك ما يساعد به الآخرين، ولذلك جاء الاجتماع الطارئ لوزراء الخارجية العرب الذي انعقد في القاهرة في السادس والعشرين من الشهر (الماضي)، على صورة الواقع العربي، فلا يعطي إلا حلاً "ترقيعيًا". يحاول العرب الرسميون إرضاء حركة حماس بالحديث عن ضرورة تقديم مساعدات لقطاع غزة المنكوب دون رفع الحصار، وعلى الجانب الآخر إرضاء حركة فتح والسلطة، بمطالبة الرئيس محمود عباس بمتابعة مسؤولياته لحين إجراء انتخابات متزامنة، وتشبه هذه المعالجة إلى حد كبير ما جرى بالنسبة للبنان، بمعنى معالجة موضوع الرئاسة وإبقاء ملف الأزمة للزمن وظروف أخرى. والحال أن لا العرب ولا الفصائل المتصارعة مستعدون لإبداء اهتمام باتجاهات الرأي العام وبالعودة للشعب.

فلسطين في قلب معركة الانتخابات الإسرائيلية

نظير مجلي

لم يبق على الانتخابات الإسرائيلية سوى شهرين ونيف، ومع ذلك فإن اتجاهاتها الأساسية غير محددة بعد.

وزيرة الخارجية، تسيبي ليفني، زعيمة حزب كاديما تحاول وضع موضوع "نظافة اليد" في رأس جدول الأعمال، مستغلة كونها ليست مجربة وكونها تعتبر حتى الآن نقية من الفساد، ولكن الفساد ليس بعيدًا جدًا عنها. فهي رئيسة حزب كديما، الذي يمثل رئيسه ورئيس الحكومة باسمه، إيهود أولمرت، للتحقيق في ستة ملفات فساد. ووزير ماليته السابق، أبرهام هيرشنزون، يقبع في قفص الاتهام بتهمة السرقة.

زعيم الليكود، بنيامين نتنياهو، يحاول جعلها معركة شخصية، فنجح في جلب مجموعة من "الشخصيات اليمينية النجومية" إلى قيادة الصف الأول لحزبه، مثل: بيني بيغن، نجل القائد التاريخي لليكود مناحيم بيغن، وبنيامين زئيف جابوتنسكي، حفيد القائد المؤسس للحركة الاصلاحية اليمينية في الصهيونية، والذي يحمل الاسم نفسه (زئيف جابوتنسكي)، وأبرهام شمير، نجل رئيس حكومة الليكود المتطرف، إسحق شامير، والوزير الأسبق دان مريدور، الذي ترأس اللجنة التي وضعت الخطة الاستراتيجية لإسرائيل خلال ربع القرن المقبل، وموشيه يعالون، رئيس أركان الجيش الأسبق وغيرهم. ولكن أعضاء الكنيست من حزبه اعترضوا على هذه "الضيافة" وقالوا إن هؤلاء القادة يحتلون محلهم ويذكرون نتنياهو أن بعضهم هاجمه في السابق وقالوا إنه كذاب ومخادع. والمنافسون من جهة ثانية اتهموا نتنياهو بالتركيز على هذه الشخصيات لكي يخفي حقيقة برنامجيه السياسي والاقتصادي الكارثيين.

وزير الجيش إيهود باراك، زعيم حزب العمل، خرج من التنافس على رئاسة الحكومة واعترف بأنه لن يكون رئيس حكومة في هذه المرحلة. وقد كان يحاول تغليب الموضوع الأمني، وهدد في بداية المعركة الانتخابية باجتياح قطاع غزة، لكي يذكر الجمهور بأنه رجل الأمن الأول في القيادة السياسية الحالية في إسرائيل. فهو الجنرال الذي يحمل أكبر وأرفع الأوسمة العسكرية وهو الذي شغل منصب رئيس أركان وقاد أخطر العمليات الحربية في "أرض العدو". هذه الحربجية، كلفت باراك ثمنًا باهظًا، إذ ترك حزبه مجموعة كبيرة من القادة المعتدلين المعروفين بتأييدهم للعملية السلمية أمثال: أرهام بورغ، رئيس الكنيست الأسبق ورئيس الوكالة اليهودية الأسبق، وعوزي برعام، الأمين العام السابق لحزب العمل، ويوسي كوتشيك وغلعاد شير، اللذين أشغلا أرفع المناصب في مكتب رئيس الوزراء في عهد باراك نفسه فكان الأول مديرًا عامًا وكان الثاني رئيسًا للطاقم ورئيسًا لوفد المفاوضات مع السلطة الفلسطينية، والأديب عاموس عوز وغيرهم. وأدى ذلك كله إلى تدهور شعبية باراك إلى الحضيض وأصبحت استطلاعات الرأي تعطيه ٧ – ٨ مقاعد فقط (يوجد له اليوم ١٩ مقعدًا).

وهكذا، فإن المتنافسين الأساسيين لم يقتربا بعد من القضية المركزية في التنافس، قضية السلام، أو القضية الفلسطينية. لكن هذا لا يعني أنهما تجاهلاها. فهما يعرفان أنها في صلب اهتمام الناخبين، وعلى رأس اهتمام العسكريين، ولا مفر من التعامل معها وبشكل جوهري مباشر.

ليفني من جهتها تحاول تصغير القضية الفلسطينية ووضعها تحت عباءة "استمرار المفاوضات على نار هادئة". فبهذه الطريقة لا تضطر إلى إعطاء التفاصيل حول موقفها. الأمر الوحيد الذي يمكن اعتباره شجاعًا من طرفها هو رفضها التعهد لحزب "شاس" (لليهود الشرقيين المتدينين) بألا تدخل موضوع القدس إلى جدول المفاوضات. فقد حاول شاس أن يتظاهر بأن هذه هي القضية الأساسية التي تحسم في دخوله أو عدم دخوله الائتلاف، ومع ذلك فقد بينت ليفني أنها بسبب رفض التعهد بترك موضوع القدس تنازلت عن تشكيل الحكومة، بل عن كرسي رئيس الحكومة. ولكن رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، يتهمها بأنها أضاعت فرصة التوصل إلى اتفاق إسرائيلي فلسطيني.

فهو كان قد اقترب كثيرًا في المفاوضات مع الرئيس محمود عباس من اتفاق دائم، وأوضح للشارع الاسرائيلي أن هذا الاتفاق يجب أن يقوم على أساس الانسحاب الإسرائيلي من الأغلبية العظمى من الضفة الغربية وتعويض فلسطين عن الأراضي التي تقوم عليها المستوطنات الحدودية (الكتل الاستيطانية) بأراض على أساس "دونم مقابل دونم" والانسحاب أيضًا من القدس الشرقية. لكن ليفني لم تجرؤ. بل في مرحلة معينة تنصلت من المسؤولية عن اتفاق كهذا.

ونتنياهو من جهته، حاول أيضًا تغليف موقفه بعباءة، هي ما سماه "السلام الاقتصادي". ونتنياهو معروف بأنه يعارض الانسحاب الكامل ويريد، إن استطاع، أن يعود بالعجلة إلى الوراء إلى ما قبل اتفاقات أوسلو. ولكنه لا يجرؤ على قول ذلك اليوم، خصوصًا في عهد الرئيس الأميركي الجديد، باراك أوباما. وقد حرص نتنياهو على إبعاد عدد من قادة اليمين المتطرف عن حزبه. فاعتذر لعضو الكنيست المتعصب، إيفي إيتام، الذي حاول الانتساب لليكود وأفهمه بأنه شخصية غير مرغوب فيها. ويحاول منع الجناح المتطرف في الليكود، بقيادة المدعو موشيه فاغلين، من الترشح إلى القائمة الانتخابية. ويزعم أن خطته للسلام، مخلصة. وتهدف فعلاً إلى السلام. فأولاً الاقتصاد ومن ثم الدولة. ويقول نتنياهو إنه سينجح في إقناع الأميركان وأوروبا بأن التسوية السياسية غير ممكنة، "فالشعب الفلسطيني لم ينضج بعد لإقامة دولة فليس عنده سلطة قانون ولا ديمقراطية ولا نظام ولا اقتصاد، وهذه كلها لا يوفرها إلا الاقتصاد"، حسب رأيه.

إزاء هذه الحالة، صدق أولمرت عندما قال: نتنياهو يتهرب من الدخول في تفاصيل، لأن موقفه المبدئي واضح وهو أنه لا يريد التوصل إلى سلام. ولكن ليفني لا يجوز لها أن تسير وراء نتنياهو. فهي من المفترض أن تمثل سياسة السلام. هذا هو برنامج حزب كاديما. فإذا كانت ستسير وراء نتنياهو، عليها أن تعرف أنها ستكون مقلدة وليس الأصل، وإذا كان الجمهور يريد خطًا يمينيًا متطرفًا، فسيبحث عن الأصل وليس عن التقليد. والأصل في هذه الحالة هو الليكود.

من هنا فإن القضية الفلسطينية موجودة في قلب المعركة الانتخابية الإسرائيلية. ولكنها لم تظهر بعد إلى السطح. ويبدو أنها ستأخذ موقعها المتقدم مع الاقتراب أكثر إلى موعد إجراء الانتخابات في العاشر من شباط المقبل. والجمهور الإسرائيلي لا توجد لديه مشكلة في قبول تسوية للقضية الفلسطينية، إنما مشكلته تكمن في أي من القادة سيضع الأمانة حتى ينفذوا ما يبغيه.

الفلسطينيون مشغولون بانقسامهم

نتنياهو يعود وبيده تصعيد عسكري وجمود سياسي وسلام اقتصادي

خاص بـ«الحال»

تشير استطلاعات الرأي كافة في إسرائيل إلى أن عودة زعيم حزب الليكود بنيامين نتنياهو لرئاسة الحكومة الإسرائيلية المقبلة "مؤكدة".

ونتنياهو الذي يروج هذه الأيام لما يسمي "بالسلام الاقتصادي" مع الفلسطينيين متجاهلاً حقوق أهل البلاد الأصليين سيتبوأ منصبة القديم– الجديد في ظروف تعتبر "الأسوأ" منذ نكبة عام ٤٨، حيث هناك سلطتان وحكومتان حتى أن كل شيء فلسطيني تشظى طبقًا للواقع الأليم إلى شيئين.

ولعل السؤال الذي يهرب منه القادة الفلسطينيون –لأنهم مشغولون بالحرب الإعلامية والسياسية بين جناحي الوطن– هو ماذا نحن فاعلون أمام عودة نتنياهو الذي أحاط نفسه بكبار الجنرالات والسياسيين المتطرفين في استعراض واضح للقوة على طريقة "شمشون الجبار".

يؤكد العضو العربي في الكنيست الإسرائيلي واصل طه أن حالة الانقسام الفلسطيني لا تخدم اليمين الإسرائيلي فحسب بل الحركة الصهيونية والاحتلال برمته فما بالنا بـ نتنياهو الذي يسوق لما يسمى بـ"السلام الاقتصادي" وهو في الحقيقة "الاحتلال الاقتصادي"، فهو يعتبر أن تحسين الوضع الاقتصادي للفلسطينيين يدفع "عملية التسوية"، ويوضح في المقابل أن موقفه السياسي لم يتغير ويصر على عدم طرح قضيتي القدس واللاجئين في أية مفاوضات.

ويتوقع طه أن تفرض عودة نتنياهو نفسها على الإقليم كله، خصوصًا أن هناك إمكانية كبيرة لقيام نتنياهو وفريقه اليميني المتطرف بتوجيه ضربات عسكرية إلى غزة ولبنان وربما سوريا أيضًا، كما أن هذا اليمين هو الذي يريد ترحيل الفلسطينيين من أراضينا المحتلة عام ٤٨، وأضاف طه أنه في الوقت الذي يجنح فيه المجتمع الإسرائيلي نحو اليمين المتطرف بقيادة نتنياهو، نرى كم هو التهافت العربي المؤسف نحو التقارب مع الإسرائيليين خصوصًا فيما يسمى حوار الأديان والترويج للمبادرة العربية، ولذلك يجب على العرب والفلسطينيين أن يدركوا بما لا يدع مجالاً للشك أن إسرائيل تنتظر المزيد من التنازلات العربية بلا نهاية مقابل "صفر".

وفي هذا الإطار كشف طه عن توجه رسمي عربي في هذه الأيام للموافقة على مشروع أميركي بإقامة منظومة أمنية إقليمية تضم بالإضافة إلى تركيا وإسرائيل دول "الاعتدال" العربي، مضيفًا أن هذا شرط أميركي وإسرائيلي مسبق لقيام "الدولة الفلسطينية"، وأشار طه إلى أن المعلومات المتوفرة لديه تشير إلى أن هذا الموضوع نوقش في الجامعة العربية وبعيدًا عن وسائل الإعلام.

ورأى طه أن هذا يعتبر شرطًا لإنهاء الاحتلال، ولذلك عليهم الانسحاب أولاً وإقامة الدولة ثم نتحدث عن "الترتيبات الإقليمية".

الدكتور وليد المدلل أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الإسلامية بغزة يرى أن التلويح بعودة نتنياهو ليس أكثر من تخويف للشعب الفلسطيني، وأن الحشد الكبير للرموز اليمينية حول نتنياهو هو لأغراض انتخابية مع أن الأمور ستتجه إلى التصعيد والتفجير خصوصًا في ظل وجود المتطرفين حول نتنياهو، ولكن قرار "الصدام العسكري" في النهاية ليس قرار شخص، بل قرار دول مثل أميركا التي ستتحمل كلفة أي حرب لإسرائيل.

أما فيما يتعلق بالانقسام الفلسطيني وصراع السلطتين، فيرى المدلل أن ذلك سيخدم ويريح نتنياهو، فهناك "تنسيق أمني ملحوظ" مع قوات الأمن الفلسطينية بالضفة، وهناك "تهدئة طويلة الأمد" في غزة طالما ضمنت دولة الاحتلال عدم أسر جنود جدد أو تسلحت المقاومة بأسلحة غير تقليدية، وبموازاة ذلك سيتم الضغط على مصر لتشديد الرقابة على الحدود.

ويؤكد إيلي نيسان مراسل التلفزيون الإسرائيلي للشؤون البرلمانية أن مقربين من زعيم الليكود أبلغوه أن نتنياهو لن يحترم أي اتفاق بين الرئيس محمود عباس ورئيس الوزراء الإسرائيلي المستقيل إيهود أولمرت لأنه يرى أن أولمرت غير مخول بإجراء مفاوضات في ظل ترؤسه لحكومة انتقالية، ولأن رؤية نتنياهو للحل تكمن في تحسين الأوضاع الاقتصادية للفلسطينيين.

أما فيما يتعلق بطريقة تعامل نتنياهو مع غزة، فأشار نيسان إلى أن المعلومات المتوفرة لديه تشير إلى أن نتنياهو وفريقه يؤيدون القيام بعملية عسكرية وإسقاط حكومة حماس في غزة، وأن نتنياهو سيكون أكثر حزمًا في التعاطي مع إطلاق صواريخ "القسام، الكاتيوشا والغراد" باتجاه المستوطنات المحيطة بغزة، وحسب نيسان فإن التصعيد العسكري ضد غزة، سيتم فور تولي نتنياهو رئاسة الحكومة الإسرائيلية.

وحول اتجاه المجتمع الإسرائيلي نحو اليمين، يرى الدكتور غسان الخطيب نائب رئيس جامعة بيرزيت للشؤون المجتمعية، ووزير العمل الأسبق أن ذلك يترافق مع اتجاه المجتمع الفلسطيني نحو اليمين والتصلب في المواقف، وأن هذا ناتج أساسًا عن فشل زعماء الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي في الوصول إلى "اتفاق حقيقي"، ما يؤشر إلى أننا سنبقى ندور في حلقة مفرغة، وأننا سننتقل من فشل إلى آخر، وإلى تقليل فرص الحلول السلمية وزيادة قوة الاتجاهات التي تؤمن بحل المشاكل عن طريق القوة في فلسطين وإسرائيل.

أما فيما يتعلق بالمشروع الذي يحمله نتنياهو لحل القضية الفلسطينية، فقال الخطيب "إن رئيس الليكود مجرب سابقًا، فهو يستند إلى طرح منهج بديل عن طريق معالجة الوضع الفلسطيني بتحقيق "مكاسب إقتصادية" عوضًا عن السياسية، مضيفًا أن نتنياهو يبحث في الدفاتر القديمة، فهذه الحلول تم اختبارها وفشلت على مدى (٤١) عامًا من الاحتلال.

وحول استفادة نتنياهو من الانقسام الفلسطيني، يرى الخطيب أن هذا الانقسام من صنع إسرائيل جزئيًا وإن لم يكن كذلك فهو يخدم الاحتلال وهم يقومون بتغذيته، وبالتأكيد فإن حكومة نتنياهو ستعمل على إذكاء نار الفتنة، وهي ستتمسك بواقع الانقسام وصراع القيادتين لأنه سيعفي إسرائيل من أية ضغوط دولية وسيريحها كذلك من نقاش قضية "قيام الدولة الفلسطينية" للمساهمة في تكريس الانقسام.

ويرجح الخطيب العودة لوقف إطلاق النار قريبًا في غزة إن لم يكن في عهد أولمرت، ففي عهد نتنياهو، لأن هناك مصلحة مشتركة لدى كل من إسرائيل وحماس في وقف النار الذي خدم الطرفين لمدة ٦ شهور، ولذلك فإن كل طرف يحاول حاليًا تحسين شروط التفاوض حول شروط وقف إطلاق النار التي سيتوصل لها الطرفان في وقت قريب، وعن عملية التفاوض في عهد نتنياهو يرى الخطيب أنه لن تكون هناك فرص "أساسًا للسلام" حتى نقلق على ضياعها.

يوم التضامن.. والتقسيم

بسام الكعبي

هل تضيع الذاكرة الجماعية؟ وهل يغيب المسنون باعتبارهم الشاهد الشفوي على النكبة وتنسى الأجيال الشابة؟ خلال حوار خاطف أثناء ورشة عمل عقدت في بيت لحم نظمها مركز تطوير الإعلام في جامعة بيرزيت حول أخلاقيات التغطية الصحفية، صمتت الأغلبية في حضرة سؤال حول مناسبة التاسع والعشرين من نوفمبر باعتباره يومًا للتضامن العالمي. أغلبية مطلقة لم تعرف شيئًا عن هذا اليوم المتميز في تاريخ القضية الوطنية، لام بعضهم طريقة التغطية الإعلامية، ولكن أغلبهم اعترف بتقصير ذاتي في المتابعة المنتظمة لضمان تراكم المعلومات التاريخية والأحداث المهمة التي عصفت بمسيرة شعب متمسك بحقوقه. كان لا بد من مراجعة سريعة مع المشاركين للإطلالة على هذا اليوم الذي اقتسم بامتياز المناسبة مع قرار التقسيم الذي صدر قبل ثلاثين عامًا بالضبط على يوم التضامن.. هل هي صدفة؟

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ قرار تقسيم البلاد بمنح شعب فلسطين أقل من نصف المساحة لأرضه التاريخية و"حق" قيام كيان للمجموعات اليهودية المهاجرة على أكثر من نصف المساحة تحت عنوان "العودة للأراضي المقدسة".

عكس قرار التقسيم توازن القوى والتحالفات في الساحة الدولية عقب انتهاء الحرب الكونية الثانية، بل شرّع القرار الحق لمن لا يمتلك باستلاب حقوق الآخرين وشكل سابقة في تاريخ البشرية، ومهد أيضًا للحرب عام ١٩٤٨ فاتحًا الطريق واسعة للنكبة الكبرى وتشريد الشعب الفلسطيني بالمنافي وهدم قراه وأماكن تجمعاته.

سيطرت الميليشيات اليهودية المسلحة عقب انتهاء الحرب الخاطفة على ٧٨ بالمئة من المساحة التاريخية وتركت ما تبقى مقطعًا بين الضفة وغزة، قبل إلحاق الضفة بالمملكة الأردنية وإخضاع غزة للحكم المصري، وتوزعت بذلك البلاد على ثلاثة كيانات سياسية: إسرائيل، الأردن ومصر، فيما أقام لاجئوها في المنافي ببناء نحو ستين مخيمًا موزعة بين الضفة وغزة ودول "الطوق العربي".. لكن التاريخ عاد مرة أخرى على شكل مهزلة وأنتج هذه المرة "نازحين" بدلاً من "لاجئين"، عندما سجلت الأنظمة الحاكمة هزيمتها في الخامس من حزيران٦٧ وسقطت الضفة وغزة والمرتفعات السورية وسيناء المصرية بقبضة المحتل.. لحظتها عادت فلسطين تحت الاحتلال كما كانت أثناء "الانتداب" البريطاني.. هل تكفي هذه البرقيات في دفع الأجيال الصحفية الشابة للتنقيب جيدًا في تاريخ هذه البلاد العصية على الانكسار مهما بلغت قسوة المحتل؟

حدة الاستقطاب السياسي ومخاطره

د. سميح شبيب

وصلت حدة الاستقطاب السياسي ما بين حركتي حماس وفتح، في الآونة الأخيرة، إلى درجة غير مسبوقة، لدرجة يمكن القول معها، إن هذا الاستقطاب بات يهدد وحدة الوطن وكيانه السياسي.

بعد الانشقاق الجيو-سياسي أواسط حزيران ما قبل الماضي، بُذلت محاولات جادة لرأب الصدع، سواء أكان ذلك في صنعاء، أم القاهرة، لكن تلك المحاولات سرعان ما وصلت إلى طريق مسدود، ومن ثم أخذت لغة تبادل الاتهامات في التصاعد، إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه هذه الأيام.

هنالك الآن، ما يهدد وحدة الوطن ومصيره وكيانه السياسي، خاصة وأن استحقاق الانتخابات الرئاسية قد اقترب، وبات في حكم المعلن من حماس، بأن نهاية ولاية الرئيس هي التاسع من كانون الأول المقبل، كما وبات في حكم المعلن بأن الرئاسة الفلسطينية ستجري انتخابات رئاسية وتشريعية متزامنة، في حال الفشل بالحوار الوطني وعدم التئامه قبل التاسع من شهر كانون الثاني المقبل.

ماذا لو وصلنا إلى زمن التاسع من كانون الثاني دون عودة الحوار، وماذا لو أعلنت حماس انتهاء الولاية الدستورية للرئيس في التاسع من كانون الأول المقبل، واستوجب ذلك بالضرورة، سد هذا الفراغ، بتسمية رئيس انتقالي وهو رئيس المجلس التشريعي في الضفة وفشلت أو أُفشلت في القطاع. ألا يشكل كل ذلك تهديدًا لوحدة الوطن وكيانه السياسي؟

لا تزال هيمنة الاستقطابين الرئيسيين: فتح وحماس هي المهيمنة الأقوى، القادرة على السيطرة وإدارة الأمور في الشارع السياسي الفلسطيني، في وقتٍ بات يقتضي، بروز رأي الشارع السياسي، خارج هذين الاستقطابين، ما يدعو للتساؤل جديًا عن دور شخصيات وطنية كبيرة، ومنظمات شعبية وغير حكومية عديدة، لها وزنها في المجتمع الفلسطيني، وعن دور الجامعات والهيئات الأكاديمية ومعظمها خارج نطاق هذا الاستقطاب الحاد. لا بد من بروز صوت آخر، خارج هذا الاستقطاب، والدعوة للتسامي فوق الجراح، ومستلزمات ومتطلبات هذا الفصيل أو ذاك.

لعله من نافلة القول، بأن الأمور تسير وبسرعة، في أتون أفعال وردود أفعال حدي هذا الاستقطاب نحو كارثة وطنية لا ترحم، ولا بد للشعب أن يقول كلمته الصادقة فيما يجري!!.

الجميع سيدفع الثمن، والجميع مسؤول، على نحو أو آخر، فيما يدور، والمسؤولية هنا، تتطلب من الجميع محاولة وقف ما ينتظرنا من كوارث.

مؤتمرات الاستثمار ليست الحل والمواطن لم يلمس لها أثرًا على الأرض

خاص بـ" الحال "

قالت العرب قديما "الأمور تقاس بخواتيمها"، وفي عالم المال والأعمال "البزنس"، لا مكان للعاطفة البتة، فبين مؤتمرين فلسطينيين للاستثمار، الأول في أيار والثاني في تشرين الثاني ٢٠٠٨، ومؤتمر ثالث قادم على الطريق سيعقد في العاصمة البريطانية لندن يومي ١٥ و ١٦ كانون الأول ٢٠٠٨، يدور في الشارع الفلسطيني، جدل واسع، وتطرح تساؤلات مشروعة، حول الجدوى من هذا الزخم الاستثماري، وحول العائد منها على المواطن العادي، وعلى التنمية في الأراضي الفلسطينية، التي تعاني ويلات البطالة والفقر.

"الحال" التقت خبراء اقتصاديين، لاستطلاع آرائهم حول عدد من الأسئلة التي تدور في ذهن المواطن، الذي لم يلمس حتى الآن نتائج إيجابية على الأرض، لهذه المؤتمرات التي تصرف عليها مبالغ طائلة.

الإنجازات استعراضية والنفقات خيالية

بداية، عبر الخبير الاقتصادي، الدكتور نافذ أبو بكر، عن خشيته من أن تكون هذه المؤتمرات استعراضية، ومجرد تظاهرات لتسجيل انجازات غير واقعية تجير لصالح شخصيات محددة.

واعتبر أبو بكر أن ثلاثة ارباع المشاريع التي اعلنت على منصة هذه المؤتمرات، وسجلت كإنجازات لمؤتمري الاستثمار في بيت لحم ونابلس، هي في الأساس مشاريع موجودة وليست من نتائج المؤتمرين.

وقال د.ابو بكر: "النتائج الايجابية هي تلك التي يلمسها المواطن العادي على الارض، ومنذ مؤتمر أنابوليس مرورًا بمؤتمري بيت لحم ونابلس لم يجن المواطن نتائج إيجابية لهذه المؤتمرات، خاصة في مجالات التشغيل وخفض معدلات البطالة والفقر، وما زال الحصار قائمًا، ليست لدينا سياسة اقتصادية أو تجارية أو حتى سياسية، كل الوقائع تشيرُ إلى أن النتائج قد لا تأتي كما نحب ونشتهي".

وفي معرض تعليقه على من ينادون بأن مؤتمرات الاستثمار هذه إنما هي خطوة على طريق بناء الدولة الفلسطينية، قال د.أبو بكر: "التحضير للدولة اقتصاديًا لا يكون بعقد المؤتمرات، والأجدى أن يتم العمل على تفعيل الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية الموقعة مع العديد من الدول، والأهم إنهاء التبعية الاقتصادية لإسرائيل".

وأشار إلى أنه من الضروري قبل عقد مؤتمر للاستثمار، التمهيد له عن طريق وضع ركائز تسهم في ترسيخ قناعة المستثمرين المستهدفين بجدوى الاستثمار في الأراضي الفلسطينية، وهذه الركائز تتمثل في ثلاثة عوامل رئيسية، يأتي في مقدمتها، توفير بيئة استثمارية مواتية، وتوفير الاستقرار السياسي والأمني، و"حتى الآن البيئة الاستثمارية في الأراضي الفلسطينية غير مواتية، التحضير للدولة لا يتم بهذه الصورة التظاهرية، وبالترويج لقصص نجاح لم تحدث".

ولفت إلى أنه لا يربط تحقيق الاستقرار السياسي، بالانسحاب الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية إذا كان ذلك غير متاح حاليًا وقال: "على سبيل المثال إذا ما أزيلت الحواجز الإسرائيلية التي تحاصر نابلس، فهذا وحده كفيل بأن يجعل عجلة الاقتصاد والتجارة تدور تلقائيًا وبانسيابية عالية دون الحاجة لبذل جهود كبيرة وكذلك يجب التركيز على دعم القطاع الخاص الصغير والمتوسط الحجم، والذي لم يكن موجودًا على أجندة مؤتمرات الاستثمار".

المواطن يتعشم ويحلم

من جهته يرى الخبير الاقتصادي د.نصر عبد الكريم، أن المشكلة ليست في عقد المؤتمرات الاستثمارية التي نشهدها، ولا في أهدافها أو دوافعها أو أجندتها، ولكن المشكلة تكمن في سقف التوقعات العالي الذي يظهر دائمًا في مثل هذه المؤتمرات. وقال في هذا السياق: "غالبًا ما يلجأ القائمون على هذه المؤتمرات على رفع سقف التوقعات بالنسبة للنتائج، وعندما ينقضي المؤتمر ولا يلمس المواطن أثرًا له على الأرض يصاب بالإحباط ويفقد الثقة بمثل هذه النشاطات".

وأضاف: "هذا تمامًا ما حدث مع مؤتمري بيت لحم ونابلس، وكان من الأجدى أن يحدد لها هدف واحد واضح، وهو أن المؤتمرات عبارة عن رسالة للاحتلال بأن الشعب الفلسطيني قادر على العمل رغم الصعوبات والعراقيل، وهو يرفض الاستسلام والركون للواقع، عندها ستكون الرسالة واضحة وغير محبطة". وتابع يقول: "ليس بالمؤتمرات تأتي الاستثمارات، فالمؤتمرات ليست أكثر من منصة للحوار بين أصحاب الأفكار من جهة وأصحاب رؤوس الأموال من جهة ثانية، المؤتمرات فرصة لتبادل الأفكار، والتأسيس لعلاقات وعرض المشاريع".

إيهام المواطن بعوائد السلام

وأشار عبد الكريم الى أن مؤتمري بيت لحم ونابلس أخطأا الهدف والأجندة، فلم تتم فيهما مناقشة قضايا اقتصادية ولا الأطر التشريعية للاستثمار ولا العقبات التي تواجه الاستثمار ولا حتى قضايا ساخنة راهنة كالأزمة المالية العالمية، وحماية الملكية، وتكاليف الاستثمار، هي تناولت كلمات بروتوكولية لا تقع في دائرة اهتمام المستثمر.

ودعا عبد الكريم إلى الاستعاضة عن هذه المؤتمرات بملتقيات استثمارية مكثفة تعقد في الخارج تتسم بهدف محدد وتوزع على مناطق العالم بعد التحضير لها جيدًا، بعيدًا عن التظاهرية.

ولفت إلى أن مؤتمرات الاستثمار هذه، هي أحد متطلبات مؤتمر أنابوليس لخلق شق اقتصادي موازٍ للحراك السياسي في مسار العملية التفاوضية، وتهدف إلى خلق انطباع لدى المواطن أن له حصة من توزيعات عوائد عملية السلام، وبالتالي دفعه لتقبل ما يحدث على المسار السياسي.

المؤتمرات مفيدة كخطوة أولى

الخبير الاقتصادي، د. باسم مكحول، أشار إلى أن هناك فهمًا خاطئًا في الشارع الفلسطيني لدور مؤتمرات الاستثمار، إذ يعتقد المواطن أنه سيلمس الأثر المتحقق عنها مجرد لحظة انتهائها.

وحمل د. مكحول مسؤولية هذا الفهم للقائمين على المؤتمرات ولـ"الماكينة الإعلامية" التي تروج للمؤتمر بشكل مبالغ فيه، وكأنه الحل السحري لمشاكل المواطن.

وقال: "المفروض أن يتم التوضيح للمواطن أن هذه المؤتمرات ليست سوى العملية الأولى على طريق الاستثمار، والهدف منها هو خلق فرصة لتبادل الأفكار بين المستثمرين، وقد تسفر عنها نتائج إيجابية وقد يحدث العكس".

ويرى مكحول أن المؤتمرات مفيدة، وهي ليست اختراعًا فلسطينيًا، ومتبعة في جميع دول العالم للترويج للاستثمار في تلك البلدان.

وأكد أن الظروف الصعبة التي تعيشها الأراضي الفلسطينية يجب ألا تشكل عقبة في طريق عقد مؤتمرات للاستثمار، مشددًا على أن القطاع الخاص الفلسطيني حقق نجاحات تفوق ما حققه نظراؤه في دول تشهد استقرارًا سياسيًا واقتصاديًا.

عيد بأي حال

عيسى عبد الحفيظ

ونحن على أبواب عيد الأضحى المبارك لا بأس من إلقاء نظرة سريعة على واقع الحال الفلسطيني.

أزمة سياسية خانقة احتار العرب وأولو الألباب في فهمها وكيفية الخروج منها وطرق معالجتها. قبل أربع وعشرين ساعة فقط من اللقاء المرتقب في القاهرة أعلنت حركة حماس عدم مشاركتها، وبغض النظر عن الأسباب المعلنة أو المخفية إلا أن نكوص حماس يفرغ الحوار من جوهره بل ومن شكله أيضًا.

غزة تحت الحصار الخانق أيضًا ولا يسمح بمرور المحروقات والأدوية والغذاء إلا بالقطارة فقط لضمان استمرار الحياة أما كيفية استمرارها فهذا أمر لا يعني تل أبيب في شيء حتى لو خبز الغزيون علف المواشي وحولوه إلى أرغفة يقتاتون بها، ناهيك عن الطبخ على أغصان هزيلة وانقطاع التدفئة والضوء لنعود لا للترحم على أيام اللوكس بل للتغزل به.

أزمة مالية خانقة أيضًا، المواطن يجري ويلهث حتى يستطيع تأمين قوت عائلته مع شبه انعدام للأمطار فالسماء غاضبة علينا أيضًا لأننا غاضبون من أنفسنا.

العالم العربي يترنح سياسيًا واقتصاديًا فحال شعوب أمة العرب ليس أفضل حالاً منا رغم تمتعها (بالاستقلال) واسمحوا لي بوضع الكلمة بين قوسين فأنتم أدرى بما أود أن أقول. خسائر البنوك العربية التي لا ناقة لها ولا جمل في أزمة أميركا وانهيار نظامها الرأسمالي المتوحش لكن الاقتصاد العالمي لا يعرف التجزئة فما أن يقرع الجرس في وول ستريت حتى تعم الفوضى في بورصات دول الخليج، ربما من باب التضامن العالمي ضد الإرهاب.

الحجاج عالقون على المعابر بانتظار أن تفتح أبواب السماء، السماح لحجاج حماس بالخروج مع الحجاج الآخرين وإلا.... عمره ما حدا حج وما في حج أحسن من حج حتى على الحج اختلفنا وقسمنا الحجاج إلى حاج حمساوي وحاج فتحاوي وحاج مستقل وحاج شيوعي! لا حول ولا قوة إلا بالله.

والمرضى يبتهلون إلى الباري وإلى أصحاب القرار وما أكثرهم، حتى ظهر أحد الفلسطينيين يعفر وجهه بالتراب وقد فقد أعصابه وهو ينتظر منذ أسبوعين حاملاً فلذة كبده المريضة على أبواب معبر رفح!

تقطف العجوز الزيتون وتحلم بأن توفر لأحفادها لقمة طرية مع الزيت المبارك وفجأة تنقض الغربان على المحصول وجيش الاحتلال يقف متفرجًا ومبتهجًا وسعيدًا بجرأة مستوطنيه، وتصرخ العجوز وتستنجد ثم ترفع يديها إلى السماء بعد أن تتذكر فجأة أن أيام المعتصم ولت ولن تعود...

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلنخجل من أنفسنا قليلاً لعل.. لعل وعسى أن يخجل العالم مما يجري و.... سيجري!

"بنك الطعام".. حلم فقراء غزة بوجبة دافئة بات حقيقة

رحمة ثابت

وقفت الحاجة أم أحمد بملابسها الشعبية المعهودة "الداير والشاشة البيضاء" متحفزة في طابور طويل اصطف فيه فقراء قطاع غزة من الرجال والنساء على حد سواء، تمسك بيدها سلة بلاستيكية مهترئة، وبصرها معلق بأطباق غلفت بأوراق "السلفان" فاحت منها رائحة زكية داعبت أنفها، وكلها أمل بأن تملأ سلتها بما سر نظرها من وجبات مجانية لتعود بها على عجل لأحفادها وابنها المعاق الذين أضناهم الجوع والفقر.

الطابور ما زال طويلاً أمامها فهناك العشرات من الفقراء الذين فرقتهم أماكن السكن وجمعهم الشوق لوجبة دافئة في شتاء بارد، إلا أنها لم تمل وبدأت تحدث نفسها وتدندن "ما دام حرجع لأولادي باللحمة والرز حستنا إن شاء الله للصبح".

وما إن نطق الطباخ هشام فرحات باسمها مناديًا، حتى هبت من مكانها مسرعة نحوه تفتح سلتها وتتناول من يديه أطباق اللحم والأرز والخضار والشوربة وتضعها بعناية وحنان داخل سلتها وهي لا تكاد تصدق نفسها خاصة وأنهم لم يعتادوا على مثل هذا الطعام ولم يروه إلا في الأحلام، وعلى شاشات التلفاز، حتى تناهى إلى مسامعهم خبر عن بنك للطعام سيجعل الحلم حقيقة، فأتوه من كل حدب وصوب من قطاع غزة المحاصر الفقير.

"فكرة بنك الطعام أنقذتنا وجاءت في وقت نعاني فيه الأمرين فلا عمل لنطعم أولادنا ولا طعام توفر أصلاً لأن الجميع يعاني" تقول أم أحمد.

وتضيف: "أسكن في حي الشجاعية شرق غزة وحتى أتمكن من المجيء إلى مقر البنك في حي النصر شمالاً أوفر من ثمن المواصلات ما يوصلني لنصف الطريق ثم أسير النصف الآخر

مشيًا على الأقدام، رؤية الجوع في عيون أبنائك تجعلك تنسى التعب في سبيل إطعامهم".

وأعربت أم أحمد عن أملها بأن تنتشر بنوك الطعام في محافظات قطاع غزة كافة، ليتسنى للفقراء الحصول على قوت يومهم الذي سيغنيهم عن شر السؤال.

وكانت الهيئة الأهلية لرعاية الأسرة افتتحت أول بنك للطعام في فلسطين والثاني على مستوى الشرق الأوسط بعد مصر في أيلول الماضي وبحسب القائمين على البنك والذين يعملون فيه بشكل تطوعي فإن البنك مشروع خيري اجتماعي متخصص في مكافحة الفقر والجوع والحاجة داخل المجتمع الفلسطيني عبر إيجاد حلقة وصل بين المقتدرين من رجال الأعمال والتجار وإن قلوا وبين الفئات المهمشة والفقيرة ممن فقدوا المعيل والسند كالمسنين والأيتام والأرامل والأسر شديدة الفقر.

الدكتور عادل رزق المدير التنفيذي للهيئة المشرفة على البنك قال لـ"الحال": "فكرة البنك كانت تراودنا منذ سنوات واستطعنا بفضل التبرعات الخيرية والمجهودات الذاتية من ترجمته على أرض الواقع إلا أننا اصطدمنا بالحصار ونفاد المواد اللازمة لتشغيله".

وأضاف رزق: "تم افتتاح البنك في ظروف سيئة أدت لتعطيل عملنا وتوقفنا عن الطبخ أيامًا بسبب نفاد غاز الطهي وعدم توفر الأموال اللازمة لشراء الخضار واللحوم لطهيها وتقديمها لمستحقيها، خاصة أن فكرة البنك تقوم في الأساس على الحصول على الطعام الفائض وغير المستعمل من المطاعم وأصحاب المناسبات وأفراد المجتمع المحلي سواء على هيئة وجبات جاهزة أو معلبات، حيث تتم إعادة تصنيعها وتغليفها في مطبخ البنك المجهز بعدد من الطباخين وكافة المعدات اللازمة لتوزيعها بعد ذلك مجانًا على الأسر الفقيرة، لافتًا إلى أن الحصار حال دون وصول بعض الدعم المالي عبر البنوك من الخارج.

وحول عدد الأسر المستفيدة من البنك، أوضح أن البنك يخدم ٣٠٠ أسرة أسبوعيًا في مدينة غزة فقط، مصنفة في كشوفات خاصة حسب الأولوية التي حددتها دراسات ميدانية نفذها عدد من الباحثين الاجتماعيين، معربًا عن رغبته بمساعدة جميع الأسر الفقيرة على طول القطاع، مشيرًا إلى أنه يجري العمل على افتتاح فرع صغير للبنك في محافظة رفح جنوب القطاع بشكل مبدئي لحين وصول الدعم المادي والعمل على توسيعه.

وعن كلفة المشروع أشار رزق إلى أن كلفته الإجمالية ١٧٨٨٠٠ دولار إلا أن المتوفر لا يتعدى الجزء اليسير من هذا المبلغ، داعيًا الجهات العربية والدولية والمحلية إلى دعم البنك ماديًا ومعنويًا وإلا فإنه مهدد بالتوقف خاصة وأنهم اضطروا مؤخرًا للطهي على الحطب لنفاد غاز الطهي وغلائه في الأسواق.

هشام فرحات "٤٧ عامًا" أحد الطباخين في البنك يقول: "إن الوازع الديني ثم الحاجة للعمل كانا وراء موافقته على العمل تطوعيًا في البنك إلى حين وصول الدعم المالي لهم"، مشيرًا إلى أنهم لم يتلقوا أي راتب.

أما وسام بركات مسؤولة العلاقات العامة في البنك فتقول: "قطاع غزة يعاني حالة من الفقر لم يشهد لها مثيل وعندما يصل الأمر لأن لا يجد الناس ما يأكلونه فإنك تفكر ألف مرة في كيفية مساعدتهم حتى وإن اضطررت إلى المشاركة في توزيع الطعام على منازل الفقراء كما نفعل".

تتكدس في أواخر نوفمبر وبداية ديسمبر

ما أكثر "الأيام العالمية" وما أقل العمل

علي الأغا

تحفل الأيام الأخيرة من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر وأوائل شهر كانون الأول/ديسمبر من كل عام بالعديد من "الأيام العالمية"، ونحن هنا في فلسطين لسنا بعيدين عن هذه "البهرجات"، ولذلك تقام عندنا الاحتفالات والولائم، رغم أن البعض نسي أو تناسى أننا ما زلنا تحت الاحتلال، ثم تسأل عن "القرارات والمطالبات" التي تم تبنيها فتكتشف أنها "زوبعة في فنجان". "الحال" في هذا العدد تحاول أن تستكشف ما يجري في هذه "الأيام العالمية" مقارنة بالواقع الذي نعيشه، وقد رصدنا بعض هذه "المناسبات":

اليوم الدولي للتسامح ١٦ نوفمبر

دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٩٦ الدول الأعضاء إلى الاحتفال باليوم الدولي للتسامح في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر لتشجيع التسامح والاحترام والحوار والتعاون فيما بين مختلف الثقافات والحضارات والشعوب. وفي منتصف شهر تشرين الثاني من العام الحالي ٢٠٠٨ أطلقت جمعية أهلية فلسطينية "حملة التسامح" في قطاع غزة بتمويل عربي، وبدأت الحملة في المساجد، بالإضافة إلى قيام مؤسسات أخرى بحملات مشابهة، إلا أن المفارقة العجيبة أنه في الوقت الذي عجزت فيه "دول إقليمية كبرى" عن جعل الفلسطينيين "يسامحون بعضهم البعض، فهل ستنجح "جمعيات الـ (NGOs)؟

يوم الطفل العالمي ٢٠ نوفمبر

هو اليوم الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٥ في إطار جهودها الهادفة من أجل حث جميع دول العالم بتخصيص يوم عالمي للاحتفال به بوصفه يومًا للتآخي والتفاهم حول حقوق الطفل في كافة أرجاء الأرض. الواقع على الأرض يشير إلى ازدياد معاناة الأطفال الفلسطينيين جراء استمرار جرائم الحرب الإسرائيلية بالتزامن مع انتشار ظاهرة عمالة الأطفال التي قادت إلى أسوأ ظاهرة وهي تسرب الطلبة من الصفوف المدرسية بسبب الاحتلال وغياب التشريعات الفلسطينية حسب ما ذكرته مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان في غزة.

اليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة ٢٥ نوفمبر

اعتبرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٥ نوفمبر/تشرين الثاني اليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة، حيث دعت الحكومات، والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية لتنظيم نشاطات ترفع من وعي الناس حول مدى حجم المشكلة وأن النساء حول العالم عرضة للاغتصاب، والعنف المنزلي وأشكال أخرى متعددة للعنف. في مجتمعنا الفلسطيني، تعتبر الأرقام حول العنف الممارس ضد المرأة "مذهلة وصادمة"، فقد ذكر المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان أن (٤٨) امرأة فلسطينية قتلن عام ٢٠٠٦ وحده جراء الانفلات الأمني والقتل على قضايا مختلفة في الضفة وقطاع غزة.

اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ٢٩ نوفمبر

أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٧ تبنيها ليوم التاسع والعشرين من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام، يومًا عالميًا للتضامن مع الشعب الفلسطيني، لتأكيد الالتزام بقرارات الشرعية الدولية. في هذا اليوم تقام الاحتفالات "التضامنية اللفظية" في أماكن كثيرة من العالم، ويرسل العديد من زعماء الدول "رسائل تأييد ومساندة" لقادتنا، وكأن هذا اليوم هو "صك براءة" للتهرب من المسؤولية الدولية عما يجري في فلسطين. من جهة ثانية هناك الكثير ممن يتساءلون كيف نريد أن يتضامن العالم معنا ونحن نرفض ونأبى أن نتضامن مع أنفسنا ومع أهلنا في ظل هذا الانقسام الذي لم يشهد له الشعب الفلسطيني مثيلاً.

اليوم العالمي للإيدز ١ ديسمبر

أعلنت منظمة الصحة العالمية الفاتح من ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٨ يومًا عالميًا للإيدز، والذي يعتبر مرض العصر. تبدو الأرقام الحقيقية لحاملي فيروس هذا المرض في بلادنا متضاربة ولا تستند إلى معلومات دقيقة نظرًا لعدة أسباب منها السرية حول المصابين وأسرهم، قلة أعداد الحالات وتوزعها جغرافيًا، وكذلك الوصمة الاجتماعية التي تدفعهم للاختباء والاختفاء لا التجمع ومساعدة الذات والآخرين.

اليوم العالمي لحقوق الإنسان ١٠ ديسمبر

حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة العاشر من ديسمبر/كانون أول عام (١٩٤٨) يومًا عالميًا لحقوق الإنسان. واحتوى الإعلان على كافة الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الإنسان، وفيه تمت الإشارة بوضوح إلى أن الناس جميعًا "يولدون أحرارًا ومتساوين في الكرامة والحقوق"، وأن لكل إنسان "حق التمتع بجميع الحقوق والحريات دونما تمييز من أي نوع، لا سيما التمييز بسبب أو اللون أو الجنس أو اللغة.. أو الدين أو الرأي". وفي بلادنا هناك قناعة جماعية بأن "حقوق الإنسان" أصبحت في خبر كان. وفي مقابلة سابقة مع "الحال" تحدث المحامي راجي الصوراني مدير المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بغزة عن تعذيب "المعتقلين السياسيين" الذي يمارس بشكل مخجل، والمعاملات المهينة والمذلة في السجون الفلسطينية، مضيفًا أن عشرات الحالات في غزة ومثلها في الضفة سجلت لدى المركز، ناهيك عن انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي ضد شعبنا.

خبير نفسي: هدف "الأيام العالمية" الظهور أمام الصحافة والتقاط الصور

يرى الدكتور فضل أبو هين أستاذ علم النفس بجامعة الأقصى ومدير مركز التدريب المجتمعي وإدارة الأزمات بغزة أن إحياء هذه الأيام هدفه فقط الظهور أمام الصحافة، والتقاط الصور، وأنه لا توجد جدية في هذه الاحتفالات، حيث لا توجد جهة مسؤولة للمتابعة ولا توجد آليات للمتابعة لمعرفة جدوى هذه "الأيام العالمية" والاحتفالات. وأضاف أن ما يحدث في الواقع ليس له علاقة بارتفاع أو بانخفاض الظواهر التي من المفروض أن تعالجها "هذه الأيام العالمية". وأشار الدكتور أبو هين إلى أن هناك ميزانيات ضخمة ترصد لهذه المناسبات، وأن هذه فرصة مواتية لإنفاق هذه الميزانيات في نهاية العام، ورفع أعلام الدول.

رشيد الخالدي.. يدق ناقوس الخطر

مهند عبد الحميد

"هذا الشعب أحسن من قيادته وأحسن من مثقفيه وأولهم أنا". جاء هذا القول على لسان البروفسور رشيد الخالدي الذي وضع النقاط على الحروف بشجاعة وثقة، محاولاً فتح ثغرة في جدار العقل السياسي والأكاديمي الفلسطيني. قال: "نعيش الآن حالة ركود وانحلال، ويواجهنا أكبر مأزق منذ ٦٠ عامًا، ومن مظاهر ذلك: الانقسام العميق، وتوغل النفوذ االخارجي (تنامي تأثير القوى العربية والأجنبية) في الشأن الفلسطيني، وحالة اليأس، وعدم وجود أفق سياسي. في مقابل تقوية نفوذ المشروع الصهيوني واكتسابه المزيد من الدعم والتأييد". تشخيص الخالدي قدم المشهد كاملاً ولم يتوقف عند أحد عناصره فقط لاعتبارات المصالح الصغيرة أو الكيدية، حدد الخلل، وانطلق من معايير موضوعية كأداة قياس، والأهم استخلاص العِبر.

لا بد من تقييم مراحل النضال بأسلوب نقدي لنتعلم من الأخطاء. ما هي الإنجازات الحقيقية؟ وما هي الإخفاقات؟ وهل الاستراتيجية منسجمة مع الواقع؟

ثورة ٣٦ ألحقت بالشعب هزيمة كبيرة، والانتفاضة الثانية شكلت هزيمة سياسية كبيرة. السبب هو عدم انسجام الاستراتيجية مع الواقع، لم نعرف الخصم، طبيعته وعلاقاته وروابطه، ولم نتوقف عند التحولات الإقليمية والدولية، كان استهداف المدنيين الإسرائيليين نقطة ضعفنا ونقطة قوة لإسرائيل، انطلقنا من معايير عاطفية طفولية وغير سياسية وليس لها علاقة بالتحرر الوطني. المصلحة الوطنية تستدعي تحقيق إنجاز والبناء عليه بإنجاز آخر وصولاً إلى تحقيق الهدف الوطني المحدد بدقة. والانتقام ورد الفعل عمل غير سياسي ويلحق أفدح الأضرار بمصلحة الشعب.

المقاومة حق مشروع وواجب حسب القانون الدولي غير أن هذا لا يكفي، فاستخدام هذا الحق يرتبط بالفائدة والخسارة، إذا كان حجم الخسارة فادحًا ويؤدي إلى التصفية فإن هذا يستدعي التوقف، وابتداع أشكال أخرى. والشيء نفسه ينطبق على التفاوض، فإذا كان التفاوض يضاعف الاستيطان، علينا التوقف والبحث في صيغة أخرى.

حصدنا الفشل تلو الفشل نفتقد لاستراتيجية وطنية، ومن مظاهر ذلك، انفصال القيادة عن السياسة، وانفصال القيادة والسياسة عن الشعب والمجتمع. هذه نذر هزيمة خطيرة.. هل ننتظرها؟

ما زالت المعالجات من قبل المستوى السياسي والمستوى الأكاديمي الثقافي تتعامل بالقطعة المنفصلة عن القطع الأخرى، وبتبرير أخطاء بأخطاء. لماذا لا نضع استراتيجية واحدة مستمدة من مصلحة وطنية واقعية واحدة للشعب؟ لماذا لا نتوقف عند تكتيك حماس الانقسامي المغامر الذي يشكل الخطر الرئيسي الداخلي؟ وعند تجربة المفاوضات، وتجربة مؤسسات وأجهزة السلطة، وتجربة منظمة التحرير؟

معاول الهدم

عيسى بشارة

في برنامج بعنوان "هل تستمر الرسالة" عن المخرج السوري مصطفى العقاد في الذكرى الثالثة لرحيله بثته الجزيرة قبل أسبوعين، جاء على لسان الراحل الكبير في سياق حديثه عن زياراته المتعددة للعالم العربي قوله: "آتي بلهفة وأخرج بدمعة".

بهذه الكلمات القليلة، اختزل العقاد معاناته وهو يحاول أن يعيد صياغة بعض الجوانب المشرقة للتاريخ العربي متنقلاً في حقل من "الألغام" العربية بين هذه الدولة وتلك وهو يسعى لإقناع بعض الدول العربية بأهمية تمويل إنتاج فيلم الرسالة. وقد انتابني شعور بالحزن الشديد وأنا أستمع إلى شهادات من أصدقاء وأفراد عائلة هذا المبدع الفذ الذي بذل المستحيل لإنجاز فيلمه بهدف تغيير الصورة النمطية للغرب عن الإسلام والمسلمين، ومع ذلك اضطّر لمواجهة أولئك المتعصبين الأثرياء الذين يفضلون العيش في أقبية الماضي وإغلاق جميع "النوافذ" التي تطل على الآخرين.

وبالرغم من النجاح المذهل الذي حققه العقاد في "الرسالة" بعد أن عثر على دعم ليبي، إلا أن "معاول الهدم" التي تنتشر في العالم العربي قد أطاحت بالرسالة وصاحبها على حد سواء، ولسخرية القدر أصبح الفيلم ومخرجه أثرًا من الماضي بعد أن اجتاحت العالم العربي موجات هستيرية من الهذيان الذي يعصف بالروح ويعطل نعمة العقل، بل ويحوّله إلى نقمة على أهل العلم.

ومع أن العقاد ظلّ يحذّر في أكثر من مقابلة من خطر الطغمة المتعصبة التي تتكاثر يومًا بعد يوم، إلا أنه قضى على يد هذه الحفنة المجرمة التي لا تؤمن إلا بالعنف وسيلة لسيادة الطغيان على غرار تلك الحفنة التي تحكم العالم العربي بيد من حديد. وكلا الطرفيْن –حتى وإن كانا على طرفيْ نقيض– لديهما هدف واحد يسعيان إلى تحقيقه: تحويل الشعوب إلى خراف ترعى في الوديان والسهول وتسبّح بحمد الله ونعمته بعيون لا ترى وعقول لا تلين!

رحل العقاد في مثل هذه الأيام وبقي إرثه الذي يمزج بين انتمائه الشرقي ووعيه بالمفهوم الغربي بعد رحلة مع الفن السينمائي بلغة راقية لا يفهمها القابعون على صدورنا منذ الأزل ويرفضها المتعصبون الذين يطيب لهم أن يتحدثوا بلغة القبور ويحاربوا "الشياطين" التي "تدور" فقط في فلكهم المظلم!

بقعة ضوء على معرض فلسطين الدولي للكتاب
إنجاز بأسعار باهظة ونقص في الإمكانات

بيان بيضون

بعد غياب دام ثلاث سنوات، افتتح على مساحة ثلاث طبقات من قاعات متنزه البيرة في مدينة رام الله، معرض فلسطين الدولي للكتاب (الدورة السابعة) في ١٣ الشهر الماضي، بمشاركة عدد كبير من دور النشر والمكتبات المحلية والعربية والدولية، وأقيم حفل الافتتاح برعاية وزارة الثقافة الفلسطينية والهيئة العامة الفلسطينية للكتاب.

انهيار رفوف العرض

رغم التجهيزات والإعدادات، ورغم أن دورة المعرض لعام ٢٠٠٨ حملت اسم الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش، إلا أن المعرض لم يحظ في أيامه الأولى بنسبة إقبال مرضية، وسط غياب واضح لمؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الرسمية.

العديد من دور النشر التي شاركت في المعرض، عزت ذلك إلى خلل في التجهيزات، وأجمعت على مشكلة ضيق المكان وانهيار الرفوف المعدة لعرض الكتب ليلة افتتاح المهرجان، وضيق الوقت. الأمر الذي أدى إلى إغلاق أبواب المعرض في يوم افتتاحه بسبب عدم إكمال الإعدادات، وفقا لأحد أصحاب المكتبات المشاركة.

مدير المعرض محمد الأسمر لم ينفِ صحة تلك الشكاوى، غير أنه علق أسباب المشكلة على تقصير الشركة التي تعهدت بتجهيز المكان والديكورات.

وأضاف الأسمر: "نحتاج إلى أرض معارض خاصة، ولكنا حاولنا جهدنا ضمن حدود الممكن وعلى الرغم من ذلك فالناشر المحلي كان على درجة أعلى من الارتياح مقارنة بما تعرض له الناشر العربي والأجنبي من صعوبة في رحلة الدخول إلى فلسطين، إضافة إلى عدم تمكن ٤٧ ناشرا من المشاركة بسبب الممانعة الإسرائيلية".

دور النشر.. مجرد دعاية

أما عن الإقبال فقد تحدث مدير المعرض عن إقبال مقبول وجيد في الأيام المتتالية الأخيرة، حيث بلغ عدة آلاف زائر. وأشار إلى تنوع الزوار بين طلبة مدارس وجامعات ومؤسسات ومكتبات، وكل محب للكتاب.

ولكن حديث الأسمر تنافى مع الناشرين المشاركين حول فاعلية المعرض وحجم المبيعات، مسؤول مكتبة دنديس العلمية وليد دنديس، أعرب عن استيائه من حالة البيع في المعرض مؤكدًا أن المشاركة هي مجرد دعاية وإعلان للمكتبة.. ليس إلا.

وأضاف: "على الرغم من إعلاننا عن خصومات تصل إلى ٣٠٪ لسعر الكتاب، غير أن المبيعات منخفضة، والمعرض بشكل عام ناجح بمستوى مقبول".

الخصومات وهمية

إياد الرجوب، أحد زوار المعرض، تحدث عن وهمية نسبة الخصم التي يتحدث عنها الناشرون، وقال: "لقد عمدت دور النشر إلى رفع أسعار الكتب بنسبة ٣٠٪ عن سعر السوق، ثم يعلن عن نسبة خصم بذات النسبة". وأضاف: "حتى نسبة الخصم ١٤٪ التي أعفيت منها الكتب الداخلة للمعرض جمركيًا لم يعفونا منها".

ورفض المدير العام لدار الشروق للنشر والتوزيع في فلسطين والأردن ، فتحي البس، الحديث عن ارتفاع هائل في الأسعار، موافقًا الأسمر رأيه في أن بعض الزوار يهيأ لهم ذلك، لأن القارئ الفلسطيني اعتاد اقتناء النسخ غير الأصلية والمقلدة من المكتبات التجارية بأسعار منخفضة.

وأضاف: "بشكل عام المستوى الاقتصادي الفلسطيني في تراجع هائل، الأمر الذي يضعف من القدرة الشرائية للمثقف، وهو عادة ما يكون من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة".

لا فشل

وعلى الرغم من أن معرض الكتاب لم يكن قد أقفل في منتصف الأسبوع، إلا أن بعض الأصوات والأقلام من زوار ومثقفين ومسؤولين بدأت بالحكم عليه بالفشل، فالأسعار باهظة، والترتيبات مقصرة، ودعم الحكومة ذهب هباءً منثورًا.

مدير المعرض محمد الأسمر، نفى ذلك بشكل قاطع قائلاً: "الحديث عن فشل هو كلام غير دقيق ومردود، فالمعرض كان ناجحًا بكل المقاييس معنويًا وماديًا، والناشرون خرجوا من المعرض راضين عن أدائهم ومبيعاتهم".

أما فتحي البس فقد رفض أيضًا من جانبه الحكم القطعي على المعرض بالفشل، مؤكدًا أنه من الصعب الحكم على النجاح المادي بشكل مجمل، لأنه يخص كل مكتبة أو دار نشر بحد ذاتها، وأوضح: "مبيعات دار الشروق أقل من المتوقع، ولا ترضي حاجة المؤسسة، والجناح لا يظهر بالأناقة التي نطمح لها، ولكن ذلك لا ينفي نجاح المعرض".

الأجنحة العربية أبدت الإعجاب الواضح بنجاح المعرض من كافة النواحي، واعتبروا أن التجهيزات والمكان والإمكانيات كانت على مستوى عال وراق، فوفاء حمودة مسؤولة الجناح التونسي كانت في غاية السعادة وهي تتحدث عن إقبال عال من كافة الشرائح، مضيفة: "لقد زاد العدد عن المتوقع وبعد العشاء تبدأ شريحة النخبة بالتوافد".

أما أسامة شتات مسؤول جناح مصر التي تشارك لأول مرة في المعرض، فقد اعتبر معرض فلسطين من المعارض الناجحة جدًا، ووصف الإقبال بأنه رائع وفوق التوقعات من الأفراد والمؤسسات الرسمية، والمبيعات جيدة، وردًا على الاتهامات التي وجهت للمعرض بالفشل، أجاب شتات: "الجهات المتهمة لها مصالح معينة وتحاول أن تؤثر على الإدارة حتى لا يقيموا معارض أخرى.

أثناء التجوال في المعرض بدا على وجوه بعض المشاركين من دور النشر والمكتبات عدم رضى عن المعرض، ولكن الأبرز كان وجود تخوف من الحديث الصريح والمعلن عن آرائهم أو شكواهم واعتراضاتهم، مسؤول مكتبة دنديس برر ذلك بـ"انعدام الفائدة". وقال: "الاستياء والشكاوى لن تثنينا عن المشاركة في الدورات المقبلة للمعرض".

مبادرة حكومية مباركة

من جهة أخرى فقد أعلن رئيس الحكومة سلام فياض عن دعم المعرض بمبلغ مئتي ألف دولار لشراء الكتب من المعرض، فتحي البس أعرب عن رضاه لهذه المبادرة غير أنه أكد أنها لن تغني عن الحاجة الماسة لإقبال أكبر من المؤسسات المحلية والعربية، وأضاف: "مبادرة الحكومة ليست بديلاً عن شيء".

أما وليد دنديس، فاعتبر أن المبادرة جيدة ولكنها غير كافية، وأن مبلغ المئتي ألف دولار لو قسم على جميع الأجنحة، فلن ينال كل جناح أكثر من ١٥٠٠ دولار، وهو مبلغ بسيط جدًا وغير كاف.

ورأى إياد الرجوب أن المبادرة لم تعد بالنفع على المشتري الفلسطيني بأي دولار في تخفيض الأسعار، إلا لدى مكتبات قليلة جدًا كان خصمها حقيقيًا ولكنه لم يتعد الـ١٠٪.

خيبة مادية

وبصرف النظر عن كل ما سبق، فالمعرض شهد حضور الرجال والنساء والأطفال من مختلف القطاعات والمحافظات، ولم تخل أيام المعرض من اكتظاظ في ساعات معينة، خاصة على الجناح المخصص لصور ودواوين وقصائد الشاعر الراحل محمود درويش، الذي زين الطابق الأول من المعرض، إضافة إلى ١٠٠ ألف عنوان كتاب تم عرضها من ١٢ دار نشر فلسطينية و٤٦ دارًا عربية وأجنبية.

ولكن التساؤل الذي يطرح حول جدية المشاركين في تطوير المعرض، وهل يقومون بشكل عملي بطرح آرائهم على المعنيين؟

يجيب فتحي البس: "لقد التقيت شخصيًا رئيس الوزراء وقدمت إليه رؤياي، كما اجتمعت وزارة الثقافة مع دور النشر، وأعرب البعض عن خيبة أمل في الجوانب المادية، غير أن أحدًا لم يطعن بأهمية النتائج المعنوية".

جنين تشرق وقت الغروب

اثنا عشر شابًا وشابة يدبون الحياة في مدينة جنين

عبد الباسط خلف

حين كان عبد الكريم تركمان، ومحمد الشايب، وأحمد عبيدي، وفداء عمري ومجد أبو سلامة، وأماني أبو سلامة، وورود أبو حامد، وريم عيبس، ودعاء زيدان، وعائد يحيى، وميس عبد العزيز، وكلهم من متطوعي المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع "بانوراما"، يسيرون في شوارع مدينتهم جنين في وقت المساء، كانوا يشعرون أنهم يمشون في مدينة أشباح؛ فالمحال التجارية مقفلة، وحركة المواصلات العامة تحتضر، والشوارع خاوية على عروشها، والمواطنون في منازلهم.

فكر الشبان، منذ عدة أشهر، في خطوة ما تعيد للمدينة الحياة التي تختفي عنها في وقت مبكر، وتعكس نفسها على المدينة وسكانها.

تروي أماني سباعنة، منسقة مركز "بانوراما": حددنا سلم الأفضلية للقضايا التي يجب أن يطالها التغيير، ووجدنا إجماعًا بين متطوعي المؤسسة أن المشهد في جنين لا يمكن أن يستمر على هذا الحال، فما أن تعلن الساعة الثالثة عصرًا، إلا وتختفي مظاهر الحياة من المدينة، وتتحول إلى صحراء.

الشمس تغيب عصرًا

توالي سباعنة: "كان جدول القضايا التي تنتظر التغيير طويلاً، لكن صورة جنين التي تغيب عنها الشمس مع أذان العصر، تترك آثارًا سلبية على الجميع، وتحتاج لتغيير عاجل، فحظيت بأولوية على أجندتنا.

يؤكد عبد الكريم تركمان، وهو خريج لغة انجليزية بلا عمل: "الأمر لا يطاق، فإن تسير في شوارع مدينتك الساعة الثالثة بعد الظهر، ولا تجد مظاهر حياة تدب فيها، فذلك أمر يحتاج لتغيير عاجل."

يوالي: "إذا ما سرنا في رام الله أو نابلس في مثل هذا الوقت، فإننا نشعر، وكأننا في بلد آخر يبعد عنا آلاف الأميال".

يرى محمود الشايب أن جنين تنام في وقت مبكر، وتحتاج من يوقظها؛ لأن الأمر يترك آثارًا سلبية على المواطنين والتجار والشباب فنهار الشتاء قصير وإذا ما أقفلت المدينة أبوابها عند الثالثة، فمعنى ذلك أنها ستنام طويلاً، وهذه مصيبة.

أحدث الشبان حراكًا في مؤسسات المدينة الرسمية، والتقوا المحافظ قدورة موسى وممثلي الغرفة التجارية ووزارة الاقتصاد الوطني، وأجروا لقاءات ميدانية مع التجار، ووجدوا أن السبات المبكر للمدينة يقلق الجميع، ويؤثر على نفسياتهم. تتابع أماني سباعنة: "احتاج الأمر لجهة ما تُعلق الجرس، وفعلنا، فأطلقنا حملة لبعث الحياة في المدينة خمس ساعات كل يوم، تبدأ عند الثالثة عصرًا، وتستمر حتى السابعة.

تشجيع

أدخل الشبان الحملة إلى حيز الوجود، وابتكروا طرقًا مختلفة لتقديم التشجيع للتجار والمتسوقين، واستطاعوا إقناع ١٣٠ مؤسسة ومتجرًا أن يمددوا ساعات عملهم لخمس ساعات في اليوم، مع منح الزبائن خصومات حقيقية بين ٧ و ٣٠ في المئة.

قسّم المبادرون العمل فيما بينهم، وصمموا بوسترًا للحملة، وأطلقوا عليها اسم "جنين تشرق وقت الغروب"، ووصلوا الليل بالنهار لإقناع التجار والمستهلكين والمسؤولين بدعم الحملة، وصبغوا المدينة بملصقات ويافطات تحثهم على عدم النوم باكرًا، "كما يفعل الدجاج"، ودبوا بتحركاتهم الحياة في شوارع جنين.

يرى تركمان والشايب وسباعنة، أن التحديات التي تواجههم عديدة، لكنها لن تثنيهم عن تغيير واقع يعيشه الجميع ويتذمر منه، فالحال الاقتصادي صعب، والمتسوقون من داخل الخط الأخضر الذين كانوا ينعشون الحركة التجارية في المدينة قبل الانتفاضة تبخروا، ومعظم أصحاب المحال من البلدات المجاورة، كما أن الزبائن يشكون من انقطاع المواصلات العامة في وقت مبكر. يتابعون: "المهم أن نبدأ، فمن حقنا أن نعيش في مدينة لا يتوقف قلبها عن الحياة في عز الظهر، ومتأكدون من أننا سننجح في مهمتنا؛ لأننا نحب مدينتنا وبلدنا.

إنعاش

تقول سباعنة: "المهم أننا توقفنا عن لعن الظلام، وها نحن نضيء الشمعة الأولى، لنخرج جنين من غرفة الإنعاش ونعيدها إلى التنفس الطبيعي.

يكمل تركمان: "الكسل والخمول ولعن الظروف لن تغير شيئًا من الواقع، علينا أن نبدأ لأجل تغيير نفسياتنا، ومنح أطفالنا فرصة لأن يتجولوا في مدينة لا تموت بإرادتها.

تستأنف سباعنة: "نخطط لإنعاش المدينة ليس فقط في جوانبها الاقتصادية، وإنما في مسائل ثقافية واجتماعية وفنية، لأننا إن عشنا في مدينة يقظة سنهتم بالوقت وبالإنتاج، أما إذا خلدنا إلى النوم في وقت مبكر فالأمر سيصبح إدمانًا سلبيًا، وسنصاب بالإحباط، وسنقفل على أنفسنا أبواب البيت. وتنهي: "التغيير الذي سعينا لأجله ليس إلا دليلاً على أن العمل ممكن، وأن الشباب ليسوا مادة قابلة للهجرة، بل هم طاقة وحياة وأمل.

على الضفة الأخرى، يرى التاجر إبراهيم كامل، أن نشاط الشبان أمر رائع، وإحساس بالمسؤولية ومحاولة لإنعاش الحركة والحياة.

ويضيف: "إقفال جنين في وقت مبكر يسبب لنا المزيد من المعاناة، ويُحطّم نفسياتنا، ويفقدنا الأمل بتحسن الوضع التجاري الراكد.

أطفال من جنين ينظرون الى بوستر الحملة.

الزهار كتب سيناريو الفيلم

"عماد عقل".. أول وأضخم فيلم تنتجه حماس مدته ساعتان

علا كمال حسب الله

تجري حركة حماس استعدادات مكثفة لإنهاء أول فيلم درامي لها ليتم عرضه في غزة، يتناول العمل الذي يحمل اسم "عماد عقل" احد شهداء الحركة البارزين الذين اسهموا في بروز العمل العسكري المميز لحماس خلال الانتفاضة الأولى.

فيلم عماد عقل لا يميزه فقط أنه فيلم درامي مدته ساعتان، خرج من رحم الحصار فحسب، ولكن ما يميزه أيضًا أن كاتب السيناريو هو الدكتور محمود الزهار القيادي البارز في حركة حماس.

بهذه العبارة بدأ ماجد جندية مخرج فيلم "عماد عقل" حديثه معنا، مؤكدًا أن الدكتور الزهار كان معهم خطوة بخطوة أثناء تصوير الفيلم، حتى في فترات انشغاله الشديد كالفترة التي تزامنت مع زيارة الرئيس الأميركي جورج بوش إلى رام الله في شباط الماضي.

يذكر أن عماد عقل الذي يجسد الفيلم قصة حياته هو من احد أهم مقاومي حركة حماس استشهد إبان الانتفاضة الأولى وهو صاحب مدرسة إطلاق النار من مسافة صفر على الهدف، ولد في مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين عام ١٩٧١، وعاش اللجوء والتشرد وممارسات الاحتلال القمعية، تربى في المساجد، كل هذه عوامل ساهمت في تشكيل شخصية عماد عقل النضالية بالإضافة إلى ذكائه الحاد وتفوقه واعتقاله سنة ونصف السنة. أضاف جندية: "أهم ما يميز عقل هو فكرة المواجهة التي تبناها وورثها لمن بعده فقد كان صاحب مدارس عديدة في المقاومة من أهمها إطلاق النار من هدف متحرك على هدف ثابت، وهو صاحب المقولة الشهيرة: "قتل اليهود عبادة نتقرب بها إلى الله".

يذكر أن عقل انضم إلى صفوف حماس منذ انطلاقتها في١٩٨٧ بعد أن خضع لاختبار على يد فتحي حماد رئيس شبكة الأقصى الفضائية وأحد المشرفين العامين على الفيلم.

قال جندية بعدما تنفس بعمق: "بعد انضمام عماد عقل إلى صفوف العمل السري في كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس، قام بتنفيذ العديد من العمليات من أهمها وأشهرها، عملية مصعب بن عمير، التى تكمن أهميتها في توقيتها حيث كانت بتاريخ ١٢\٩\١٩٩٣ أي قبل توقيع اتفاقية أوسلو بيوم واحد، حيث كانت العملية بمثابة رد واضح على الاتفاقية فحولت أنظار العالم وعدسات الصحفيين من حدائق البيت الأبيض إلى حي الزيتون بغزة حيث قتل ٣ جنود، بقت جثثهم ملقاة ثلاثة أيام في البيارة بعد سلبهم الأسلحة والبزات العسكرية".

أما عن الصعوبات التى واجهت تصوير ومونتاج الفيلم تبسم جندية وقال: "واجهتنا العديد من الصعوبات الفنية من نقص حاد في البطاريات وأضواء الكشافات للإضاءة خاصة أن ذروة العمل كانت في عصر السيرج كما يحلو للبعض تسميته أي لم يتوفر لدينا وقود للجيبات والسيارات، كل هذا كله يهون أمام المشكلة الأعمق والأخطر وهي أن كل الممثلين والعاملين في الفيلم مبتدئين ما صعب المسألة، المخرج في الوضع الطبيعي يعيد اللقطة مرتين أو ثلاث مرات أما نحن كنا نعيد اللقطة من ٤٢ إلى ٥٠ مرة.

يشار إلى أن الفيلم يتناول ثلاث مراحل من حياة عقل الأولى الميلاد والطفولة والثانية تكوين عماد عقل فترة المراهقة والشباب والمرحلة الثالثة نضجه النضالي المقاوم، وتم التصوير في مدينة أصداء الأعلامية التابعة لشبكة الأقصى الممولة والمنتجة للفيلم وقد تم تصميم ديكور خاص لمنطقة معروفة في مخيم جباليا "طرمبة المي والحمامات" التي تدور أحداث الفيلم فيها. "صورنا في المكان الحقيقي لبعض العمليات والبعض الآخر قمنا بتحضير ديكور للمنطقة، ويشمل الفيلم ١٥ عملية من أشهر عمليات عقل"، أكمل حديثه.

من جانب آخر أكد الدكتور عبد الخالق العف المشرف العام على الفيلم أن حركة حماس تهتم بالفن منذ زمن بعيد ولديها إدراك كامل لأهميته في الدعوة إلى الله، وقال إن هناك العديد من الفرق الإسلامية والمسارح التي كانت تحيي حفلات إسلامية في مناطق الـ١٩٤٨ في أوائل الثمانينيات، لكن الواقع الجديد أظهر العديد من المتغيرات التي أبرزت ضرورة وجود فن إسلامي خالص، من وجود الفضائيات مثل فضائية الأقصى والقدس وغيرهما". مشيرًا إلى أن فيلم الرسالة وعمر المختار أفلام إسلامية رائعة ولا يمكن تهميشها أو تجاهلها لكنها لا تحمل فكر وفلسفة الإخوان المسلمين.

ويعتقد العف أن ما يميز الفيلم أن مدته ساعتان كاملتان، ولم ينتج قبلاً فيلم مدته ساعتان كاملتان حتى فيلم الجنة الآن للمخرج محمد البكري أقل من ساعتين. كما يقول العف.

ودعا العف إلى فتح دور السينما والمسارح حتى يطرح الفن الإسلامي الجيد ويتم تجديد الثقة في تراثنا وحضارتنا وثقافتنا الجميلة.

وأضاف: "نحن نفتح الباب أمام الأعمال الجيدة والتي تحمل فكرًا ورؤية سامية حتى لو لم تتم صناعتها على يد حماس، فنحن نقبل أعمالاً من حركة فتح والجبهة الشعبية وغيرهما من التنظيمات شريطة أن تحمل فكرة ورؤية إسلامية".

في معرض الكتاب هذا ما حصل.. وبالأرقام

إياد الرجوب

يقول المثل الشعبي: "كَيْل القَرايا غَيْرْ كَيْل السَّرايا"، بمعنى: حسابات المواطنين غير حسابات السياسيين، وهذا ما جسده معرض الكتاب، فقد صرّح السياسيون والمثقفون المحسوبون على السياسيين بنجاح المعرض نوعا ما، لكن المواطن- الذي ينظر للمعرض كفرصة لشراء الكتب بأقل الأسعار- تفاجأ مما حصل، وخاصة من "التجار" الفلسطينيين، أما من جاءوا من خارج الوطن فلا لوم عليهم، لأنهم اقتدوا بأصحاب البيت.

ما جرى من أصحاب البيت كان عبارة عن تحايل، تمثل في الخصم الوهمي بنسبة ٣٠٪، وذهب الإعفاء الضريبي والدعم الحكومي هباء. وبقي الأمر كذلك حتى آخر ساعة من المعرض.

قبل أن أعرض الأدلة سأذكر ملاحظتين لفتتا انتباهي ولهما علاقة بعنوان المعرض، الأولى تتعلق بالعنوان الرئيسي، فكيف لـ"معرض فلسطين الدولي للكتاب" الذي ضم عشرات دور النشر وعشرات آلاف العناوين ألا يضم الموسوعة الفلسطينية؟ والثانية تتعلق بالشاعر الكبير الراحل محمود درويش الذي حملت دورة المعرض اسمه، فكان الأَولى أن يُحترَم هذا الاسم بتقديم بعض دواوينه هدايا للزوار- المهتمين على الأقل، لكننا وجدنا ديوانه "كزهر اللوز أو أبعد" بـ٤٥ شيقلا مع أنه خارج المعرض أقل من النصف، واقتصر احترام الشاعر على وضع صورته في ملصقات دعائية تناثر كثير منها على الأرض وداسها الرواد.

أما أدلة التحايل فتتلخص في عدم "تَسْعير" الكتب المعروضة، وزيادة الأسعار في قوائم خاصة بطريقة خبيثة لدى معظم المكتبات ودور النشر المشاركة (إلا من رحم ربي)، ليكتشف المواطن فيما بعد أن سعر الكتاب في المعرض كان خياليا، ولا حجةَ هنا في طبعة أصلية أم مزيفة، فصاحب دار النشر أو المكتبة هو من باع الكتاب بالطبعة نفسها في المعرض بسعر يزيد بكثير عما يبيعه به في مكتبته داخل الوطن، وهذه أمثلة للمقارنة: معجم لسان العرب (٧ أجزاء) سعره لدى مكتبة في المعرض ٤٠٥ شواقل، وخارج المعرض لدى أخرى لا يتعدى ١٨٦ شيقلا.

وتطلب من أحدهم توفير الموسوعة الفلسطينية (١١ جزءا) فتجد سعرها في حاسوبه ٩٠٠ شيقل، ويخصم ٣٣٪ لتصبح بـ٦٠٠ شيقل، وتتصل لتسأل عن سعرها في مكتبته الخاصة فيقول لك ٦٠٠، وتتصل بآخر خارج المعرض فيقول: أبيعها بـ٣٥٠ شيقلا.

كمواطن من طبقة "القرايا"، لم أكن لأعرف كل هذا مما فات "السرايا" لو لم أمكث ثلاثة أيام أتجول في المعرض وأستطلع العناوين والأسعار، وأقارن، وأتصل بالمكتبات خارج المعرض مستفسرا عن الأسعار الحقيقية، وأشتري أحيانا لأحتفظ بدليل الإدانة لهؤلاء، فما بالنا بآلاف المواطنين الذين قدموا للمعرض من جنوب الضفة وشمالها ولم يمكثوا فيه سوى سويعات؟ مؤكدٌ أنهم وقعوا في شباك التحايل ظانين أنهم حصلوا على خصم ٣٠٪.

من هنا وهناك

عبد المنعم شلبي

بينما كان يقود سيارته في شوارع القدس، كان مثالاً للالتزام: يقف عند الإشارة الحمراء، يتقيد بالسرعة المحددة، لا يقف في الأماكن الممنوعة، وبمجرد أن تجاوز حاجز قلنديا حتى نزع حزام الأمان، وأطلق العنان لسيارته بسرعة مجنونة، ونسي تمامًا قواعد المرور، وعندما أوقفه شرطي فلسطيني احتجَّ ساخطًا، ولمّا لمسَ منه جدّية، كتم غيظه وتعاطى معه مكرهًا، وما أن ابتعد عنه حتى بدأ يتمتم ويشتم ويصيح: سلطة معفنة.

رأفة بالبيئة يا أشباه المثقفين

كم عدد الكتب التجارية التي يطبعها مؤلفون هواة؟ والدواوين التي تشبه أي شيء ما عدا الشعر؟ والمراسلات البيروقراطية الجوفاء؟ ومطبوعات وزارة الثقافة التي تتوسل من يتصفّحها؟ والمجلات الرسمية التي لا يقرأها أحد؟ وللعلم فإن هذه المطبوعات التي لا لزوم لها تحتاج أطنانًا من الورق، وهذه الأطنان تتطلب إعدام غابات من الأشجار، وتلك الأشجار كان من الممكن أن تؤدي دورًا وظيفيًا أفضل للبيئة وللناس من أن تتحول إلى أكوام نفايات.

شعب من الخبراء

دفعتُ للخباز ثمن كيلو من خبز الطابون، وبينما كان منهمكًا بإدخال العجينة إلى بيت النار ريثما تنضج بدأ يشكو لي الأوضاع السياسية وينتقد الاتفاقيات وظل هكذا حتى احترق الخبز، ثم توجهت للخياط لأصلح بنطالي، فبدأ الأخير يفتي في أسباب انهيار أسواق المال فأخذه الحماس ونسي نفسه حتى أفسد طرف البنطال، ثم استقللتُ سيارة الأجرة وجلست جوار السائق الذي ظل يشكو الفساد في وزارة النقل وبطء القضاء وشلل التشريعي، وهو ينظر أمامه حينًا ويصوب ناظريه نحوي أحيانًا، حتى اصطدم بسيارة أمامه كانت تهم بالوقوف فجأة!! شوية تواضع وكل واحد يركز في شغله.

أطفالنا أكبادنا

على يمين الشارع تتكدس لافتات الإرشاد التي تطلب من السائقين وتتوسل إليهم تخفيف السرعة، لأنهم في منطقة سكنية أو بالقرب من مدارس، ولكن الإشارة الوحيدة التي تُجبرهم على تخفيف السرعة هي المطبات، والبلديات تمتنع عن وضع مطبات نظامية إلى أن يُدهس طفل ما، فتضع مكان مقتله مطبًا! الأمر الذي يدفع الأهالي لوضع المطبات على طريقتهم الخاصة خوفًا على أطفالهم، لأن أطفالنا أكبادنا.. ندهسها على الطريق!!

مواطن يناشد وزير الصحة التدخل بقضية عمرها 5 أعوام

خطأ طبي بدأ بعملية زائدة وانتهى بتحويل عملية الإخراج "يدويًا" إلى البطن

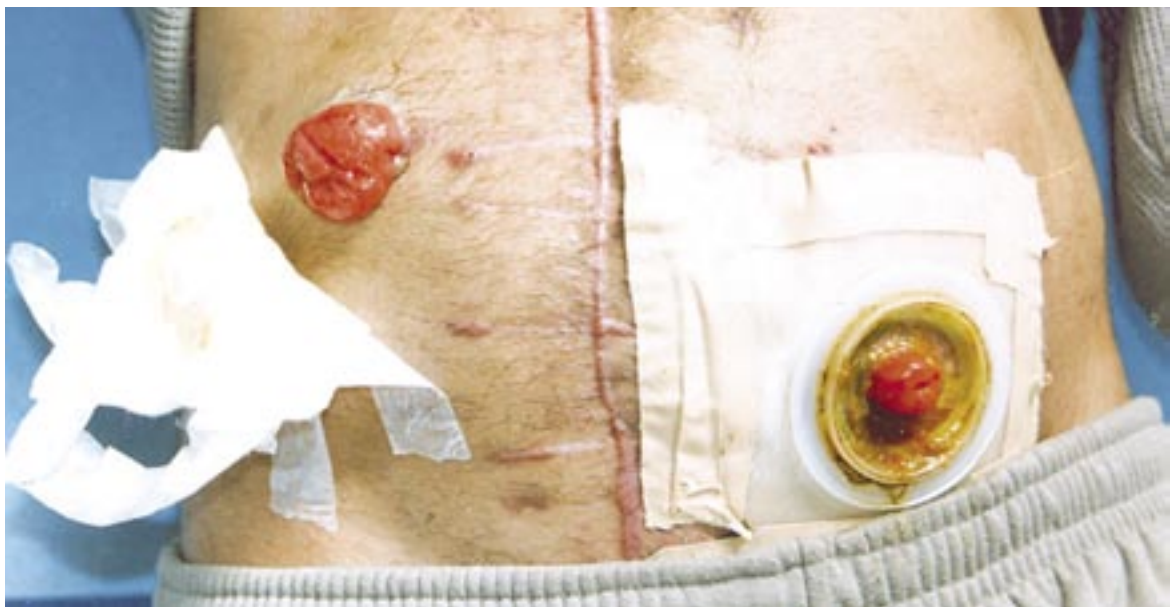

بطن محمد سلمان بعد الخطأ الطبي.

محمد الشعيبي

"لم أكن أتخيل نفسي وأنا في عز شبابي أن أدخل إلى أحد المستشفيات وأخرج بعكاز وعجز نسبته ٤٢٪ وليس هذا فحسب، بل وصرت أحمل فضلاتي بين يدي، وفي أية لحظة يمكن أن تمتلئ الأكياس وتندثر، ذات يوم حين كنت أنوي النزول من إحدى المركبات العمومية، وقع مني أحد الأكياس المخصص لعملية الإخراج على الأرض وامتلأت ملابسي بالأوساخ، فأخذ أبي وأخي يبحثان عن المناديل الورقية كي ينظفوا ملابسي، كنت واقفًا وما في بطني ينزل لا إراديًا كل هذا بسبب الإهمال الطبي وسذاجات أطباء يرفضون الاعتراف بما اقترفته أيديهم".

بهذه الكلمات وصف محمد فلاح يوسف سلمان "٢٥ عامًا"، من قرية بروقين قضاء سلفيت، جزءًا مما حدث معه بسبب الإهمال الطبي الذي تعرض له.

بداية القصة

يقول سلمان بصوت يعتره الألم: "عانيت من أوجاع في بطني لم أعرف سببها وتوجهت بتاريخ ١١-١٢-٢٠٠٣ إلى مشفى رفيديا الحكومي، وبعد الفحص والتصوير تقرر إجراء عملية (استئصال الزائدة الدودية)، وعندما خرج الطبيب المشرف عقب العملية، سأله والدي عن العملية، فقال له الطبيب "أكلنا زفت"، ثم استدرك الطبيب نفسه وقال: "يا حج ابنك بخير.. لا تقلق". فقال الوالد مشدوهًا وساخرًا في نفس الوقت: "هذا أول الغيث".

تحويل مسار الإخراج

توالت وتزايدت الآلام على سلمان بشكل مطرد، دون أن يدرك حقيقة الفاجعة التي ألمت به بعد العملية ويقول سلمان متكئًا على عصاه ومحدقًا في الأرض: "بعد خروجي من المشفى طلب مني الأطباء التوجه إلى أقرب مركز صحي لتنظيف الجرح"، وفي اليوم الرابع توجه سلمان إلى مشفى طوارئ سلفيت الذي بدوره منعه من الخروج من المشفى بعد إجراء فحوصات طبية وأبلغوه بضرورة البقاء لخطورة جرحه وغرابته.

ويتابع سلمان وعيونه تلمع دمعًا: "مساء ذلك اليوم تفاجأت بخروج أوساخ وسوائل من بطني ذات رائحة كريهة جدًا، وحين اطلع الدكتور المسؤول ورأى الجرح وما يخرج منه قام بحل القطب عن الجرح، فاندفعت كمية من الأوساخ من داخل بطني، فقرر إجراء عملية طارئة لي ولو على عاتقه الشخصي لخطورة وضعي".

استئصال من الأمعاء

أجريت لسليمان عملية جديدة استغرقت ساعتين ونصف الساعة لم تحمل في طياتها إلا استئصال جزء من الأمعاء الغليظة والدقيقة بسبب تلفه وتعفنه من جرح العملية. وتم نقل سلمان إلى العناية المكثفة لمدة ثلاثة أيام حتى زوال الخطر.

وبعد مضي ثمانية أيام، تم إخراج الأمعاء إلى سطح البطن من أجل عملية الإخراج وذلك لمدة ثلاثة شهور في منظر تقشعر له الأبدان ويرتعش له الوجدان.

وكان الدكتور المشرف قد أخبر المريض بأن الأطباء الذين أجروا له العملية الجراحية في مشفى رفيديا قاموا بتشطيب الأمعاء الغليظة وضرب القولون، علاوة على عثوره على خيوط أزالها من بطنه أثناء شروعه بالعملية. وهو ما أدى إلى انفجار وخروج البراز إلى داخل البطن، الأمر الذي تسبب في تعفن البطن برمته.

ويوضح سلمان مستعرضًا جملة التجلطات التي ألمت به: "ترتب على هذا الجرح حدوث تجلطات عدة في قدمي اليسرى، وبعد إجراء فحوصات في مشفى سلفيت تقرر تحويلي إلى مشفى رام الله بعد إعطائي إبرتين و"تحاميل" مسكنة". ويكمل سلمان مسلسل معاناته المفجع: "حتى اللحظة يعاني من خروج "القيح" من بطنه، على الرغم من دخوله إلى عدة مستشفيات في السعودية وفلسطين ومن ضمنها المشفى العربي في نابلس".

أدلة دامغة بالتورط..

وفي خطاب صادر بتاريخ ٣٠-٣-٢٠٠٤ رفعه وكيل وزارة الصحة الدكتور منذر الشريف إلى مدير عام الهيئة المستقلة الفلسطينية لحقوق المواطن الدكتور سعيد زيداني جاء فيه "إنه بعد التحقيقات في القضية قامت لجنة طبية مختصة تم تشكيلها برئاسة نائب مدير عام المستشفيات تبين أن هناك تناقضات بين إفادات المسؤولين عن العملية وما هو مدون في سجلات المشفى، وتبين أنها هناك أخطاء طبية وشدد التقرير على توجيه إجراءات عقابية بحق المقصرين من الأطباء والمرضين".

وقال تقرير آخر صدر عن وزارة الصحة بتاريخ ٤-٥-٢٠٠٥ إن محمد سلمان يعاني من نسبة عجز تقدر ٤٢,٦٪ وفقا لكتاب تقدير العجز المعمول به في وزارة الصحة.

وحول هذه النتيجة اعتبر سلمان أن مجمل هذه التقارير لم تقدم له شيئًا، لا في سبيل توفير علاج لهذا الجرم الطبي ولا بتصحيح الخطأ الذي قاموا به أو حتى في تحويله إلى مشفى يخلصه من معاناة لم يعد يحتملها.

علمًا بأن سلمان كان قد وجه مناشدة لوزير الصحة الدكتور فتحي أبو مغلي لفتح الملف والنظر في القضية التي تجاوز عمرها في المحاكم أكثر من خمس سنوات، ودعا أيضًا كافة الهيئات الوطنية والمؤسسات الرسمية والأهلية المختصة بقضايا الشفافية والمساءلة لمتابعة هذه القضية ووضع حد للمماطلة التي يتعمدها المدانون وفقًا للقانون ولمقضيات شرف مهنة الطب.

المماطلة من دون طائل

القضية صنفت وفقًا للأحكام الصادرة عن المادة ١/٣٤٤ من قانون العقوبات لسنة ٦٠ والموجودة في بند "الإيذاء عن غير قصد"، وهي مرفوعة على مشفى رفيديا ويذكر فيه اسم طبيبين متورطين في هذا الخطأ الذي يشكل جرمًا يعاقب عليه القانون. وقال سيبويه عنبتاوي المحامي المكلف من قبل سلمان المتابع للقضية: "إن هذه القضية حقوقية حسب القانون فإذا اثبت بها الإهمال الطبي فالوزارة ملزمة بالتعويض".

وفي ذات السياق، عبر سلمان عن استيائه من الإجراءات القانونية طويلة الأمد، حيث إن القضية لم تراوح مكانها وتمدد لأسباب فارغة من مضمونها، فتارة يغيب الأطباء وتارة يغيب الشهود.

أكثر من ١٣٥ ألف شيقل

أما ماديًا فإن سلمان قد تكلف بما يقدر بـ١٣٥ ألف شيقل، تكلفة العمليات والسفريات الداخلية والخارجية والعلاجات والأدوية وكشفيات الأطباء وما يرافقها من تكاليف، إضافة إلى هذا كله ترك سلمان وظيفته في الشرطة لعدم قدرته على العمل كعسكري نتيجة لحالة العجز التي يعانيها.

ثقافة المقايضة تدخل المنطقة

أيمن خالد

الخبز مقابل وقف الصواريخ، ويمكن أن تكون هناك مقايضة أخرى، الدولة مقابل التخلي عن أراض معينة، أو القدس بدل عودة اللاجئين، كلها أشكال من المقايضة تتسلل إلى عقل المنطقة، وكأن المقايضة في مثل هذه الصورة، نوع من الانتصار أو كسر لإرادة العدو.

هي بديل جديد لثقافة التسوية، التي لم تقبلها شعوبنا، وتعاملت معها بأنها عملية إشاعة للهزيمة، باعتبارها عملية تعرية كاملة للجبهة العربية، بينما يبقى العدو خارج المعادلة فيحق له أن يتقوى بما يشاء. والمقايضة هنا، هي عملية تصدير كبير للوهم إلى المنطقة، حيث تبدو المقاومة وقد ساومت إسرائيل مستخدمة منطق القوة، لكي تحصل على مقابل، والمقابل بالطبع، هو الخبز والذي كان موجودًا قبل انطلاق شعلة المقاومة، لكن واقع الأمر يقول إن هناك خطوطاً حمراء باتت على الأرض، وهذه الخطوط الحمراء هي ضمن المربع الذي يقف عليه الفلسطينيون، بحيث سيكون وسيلة ليكتشف الفلسطينيون تناقضاتهم الداخلية من خلاله، لا تناقضهم مع العدو.

وهم المقايضة، تظهر فيه هذه القوى بأنها تخضع العدو ضمن حدود معينة، وبالتالي ينتج عن مجمل هذا الوهم، سير وركوب في تسويات مغطاة بهذه الغشاوة، وكأن الصراع مع العدو هو بين جارين، يتنافسان أو يتصارعان ضمن جغرافيا عيش مشترك لهما، فالمقايضة ممكنة في عالم العيش المشترك، وهذا ما لا يمكن أن يكون في قضيتنا.

في السنوات الماضية، كانت الإدارة الأميركية تخاطب الزعماء العرب عبر الفاكس، وقد لا تحتاج إلى مبعوثين، لأن قيمة الزعماء باتت صفرًا، ثم غرقت أميركا في العراق وأفغانستان، فكانت النتيجة، أنه لم تعد هناك جمهوريات موز في أميركا، وأصبحت حديقة أميركا الخلفية تختار الزعماء ديمقراطيًا بعد أن كان يعينهم تجار الكوكا الأميركان.

عمليًا، إذا كانت جمهوريات الموز قد تنبهت، وخرجت من دائرة الهيمنة الأميركية المطلقة، فإن واقعنا العربي هو أدنى بكثير من جمهوريات الموز السابقة، ونحن إذا كنا طبيعيًا نتأثر بهذا الواقع، فنحن نحلم أننا سنقايض هذا العدو المتغطرس، فالحسابات دائمًا تخذلنا، لأننا نقايض ونحن نتوجه إلى مزيد من الضعف، ونبني واقعنا بشكل افتراضي لا ينتمي للواقع.

فلسفة المقايضة، حتى في عصر الإنسان الأول، كان فيها منطق الأقوى من يفرض السعر والكم.

السؤال: كم نساوي نحن في أعين العدو؟

من طلبة معهد ادوارد سعيد للموسيقى.

الموسيقى كالحلم بالنسبة للبعض.. وجزء أساسي من حياة البعض الآخر

هبة لاما

يقولون إن للموسيقى سحرًا خاصًا يدفع الإنسان للتعلق بها واعتبارها جزءًا أساسيًا من حياته. البعض يعشقها ويعتبرها الوسيلة الوحيدة التي يعبر من خلالها عن مشاعره والبعض الآخر يتخذها مهنة يعتاش منها. وبالرغم من أن البعض قد دخل عالم الموسيقى بالمصادفة إلا أنهم برعوا فيها وأصبحوا موسيقيين بفعل موهبتهم والتزامهم وحبهم للموسيقى.

يقال رب صدفة خير من ألف ميعاد، صدفة ممزوجة بحب للموسيقى، هكذا تصف الموسيقية ريما ترزي تجربتها وهي التي حصلت على فرصة تعلم الموسيقى عندما توفر أستاذ للموسيقى في مدرستها آنذاك: "حين بدأت أتعلم وجدت ذاتي في آلة البيانو، وكنت منذ صغري أرغب في أن أكون موسيقية، كان لدي اهتمام بالموسيقى، وكنت أشعر بالفرح حين استمع إليها، عائلتي عمومًا تحب وتهتم بالموسيقى، وقد كنت دائمًا أذهب إلى القدس لحضور عروض موسيقية مختلفة".

لم تكن ترزي التي باتت لها مؤلفاتها الموسيقية المعروفة تعلم يومها أنها ستصل إلى هذا الحد من الاندماج في عالم الموسيقى كما أنها لم تدر أن تعلمها للموسيقى الذي بدأ مصادفة في مدرسة قررت إدخال برنامج فني لمناهجها سيكون مصحوبًا بعشق لها وتعلق بها وبآلة لطالما أحبتها: "لو عاد بي الزمان وخيرت أن أختار من جديد فإن البيانو سيكون هو وجهتي، فهو آلة مستقلة، وأستطيع من خلاله أن أرتجل وأشعر بذاتي، البيانو يجعلني لا أحتاج إلى وجود عازفين آخرين، مثل الآلات الأخرى".

هكذا تتداخل الموسيقى في حياة محبيها وتنمو بنموهم وتقدمهم في السن حتى تصبح جزءًا أساسيًا في حياتهم، لا يستطيعون الاستغناء عنه، فسامر طوطح الذي يعمل حاليًا معلمًا للعود في معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى يعتبر الموسيقى جزءًا لا يتجزأ من حياته ويصف عشقه للموسيقى بقوله إنه ينام ويحلم يوميًا بها.

أما عازف التشيلو نسيم الأطرش وبالرغم من صغر سنه فإنه يفكر جديًا في احتراف الموسيقى لتصبح هي المهنة التي يمارسها إذ يقول: "عندما أنهي دراستي الثانوية أفكر في السفر إلى الخارج للتخصص على آلة التشيلو لكي أصبح عازفًا محترفًا من جهة ومعلمًا بارعًا من جهة أخرى".

وقد بدأ نسيم دراسته الموسيقية في سن الثانية عشرة عندما التحق بقسم الموسيقى في مدرسته، لكن ذلك تحول فيما بعد من مادة يتعلمها في المدرسة ويحصل على علامات مقابل تعلمه إياها إلى هواية لا يستطيع الاستغناء عنها: "منذ أول حصة لي على التشيلو أحببت صوت هذه الآلة وقررت الاستمرار والمضي في تعلمها، ومع مرور الزمن أصبحت الموسيقى جزءًا من حياتي وأسلوب حياة أتبعه، وأصبح السبب الوحيد لتعلم الموسيقى هو حبي لها ليس أقل ولا أكثر".

وخلافًا لزميله نسيم فإن عازف العود تامر الساحوري لم يدخل عالم الموسيقى بالمصادفة: "منذ البداية لاحظ أهلي اهتمامي المتزايد بالموسيقى بشكل عام وبآلة العود بشكل خاص، من خلال سماعي الدائم لموسيقى مارسيل خليفة وغيرهم من موسيقيين عرب، كان لموسيقاهم الفضل الأكبر في اكتشافي، ولأهلي الذين تنبهوا وأرسلوني لتعلم الموسيقى في معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى الذي تتلمذت فيه على أيدي معلمي عزف العود وموسيقيين يعتبرون من أهم عازفي فلسطين والوطن العربي كوسيم عودة وأحمد الخطيب وسيمون شاهين ونزار روحانا وغيرهم ممن صقلوا موهبتي ووجهوها في الاتجاه الصحيح".

ويضيف تامر: "إن تعلمي للعود أعطاني لغة جديدة ووسيلة أشبه ما تكون بالسحر للتعبير عن مشاعري الشخصية وعن المشاعر الإنسانية والوطنية وحتى الاجتماعية منها، وأعطاني فرصة لكي أكون بين أطفال هذا الجيل لأعلمهم الموسيقى وأسهم ولو بشكل صغير ومتواضع بإضافة شيء جميل كالحلم إلى مخزون ذكرياتهم".

هذا ما تفعله الموسيقى بعشاقها ومحبيها وهكذا يكتسب الموسيقيون لغة خاصة بهم يعبرون من خلالها عن مشاعرهم وأحاسيسهم سواء كان دخولهم لعالمها بالمصادفة أو اكتشاف حبهم لها منذ البداية.

من طلبة معهد ادوارد سعيد للموسيقى.

"بين هذا ليل وآدم" للفنان باسل زايد.. إبداع متجدد

زياد جيوسي

باسل زايد فنان فلسطيني شاب متميز، يمثل ظاهرة مختلفة ومتميزة في الساحة الفلسطينية، عرفته عازفًا منفردًا ومع فرق مختلفة مثل فرقة سنابل وفرقة سرية رام الله الأولى وفرقة يلالان ثم فرقة تراب، باسل نمط مختلف يتناول الكلمة المغناة وما تحمله بين ثناياها من رسالة.

وتبقى "تراب" تجربة مميزة ومستمرة حتى الآن في مسيرة الموسيقي باسل، والتي قدم معها مجموعته المميزة "هذا ليل". ألبوم نجد التميز بالكلمة واللحن، فالكلمات تعبر عن الهم اليومي للمواطن وأحلامه، وقد تمكن باسل من أن يمزج بإبداع كبير الموسيقى العربية والغربية بمختلف أشكالها، وإن بقي العود هو الأساس في ألحانه مترافقًا مع الإيقاع.

في ألبوم "هذا ليل" تميز باسل وشكل انطلاقة جديدة ومتميزة، ولعل أقوى ما قدمه بهذه المجموعة مقطوعته الموسيقية "جنين"، وفي هذه المقطوعة تحدث من خلال اللحن المميز عن معركة اجتياح مخيم جنين من قبل الاحتلال، من يستمع للمقطوعة وتدرج الموسيقى بين الطبقات المختلفة، يعيش أجواء الصمود الأسطوري للمخيم، يستطيع أن يحلق مع أرواح الشهداء، أن يستمع لجنون الآلة الحربية الإسرائيلية، كل ذلك من خلال تناغم الآلات الموسيقية وقوة اللحن الذي أبدعه باسل.

إلا أن باسل وطموحه لم يتوقف عند تراب وهذا ليل رغم الشهرة المتميزة التي نالها، فانطلق بعمل مميز آخر، فكانت مجموعة "آدم"، وهذه مجموعة تشكل قفزة نوعية حقيقية في مسيرة باسل الفنية، فهو عمل مكون من اثنتي عشرة مقطوعة نصفها تقريبًا يغنيها بصوته، والنصف الآخر من تلحينه وعزفه مع مجموعته الفنية، وكما في "هذا ليل" التي ارتبطت بالمواطن وهمه وألمه وأمله، ففي آدم لم يخرج عن خط الالتزام الذي تميز به، فآدم هو الرمز للمواطن المسحوق بين سنديان الجوع وبين مطرقة الاحتلال، فهو طفل يعاني أنه ولد في زمان غير زمانه، ولد تحت الاحتلال ويعيش الجوع والمعاناة.

تتراوح هذه المجموعة بين الهموم المختلفة، فمن معاناة الصحفي وقمع حرية الكلمة، إلى معاناة رام الله ما بين الاحتلال والفلتان الأمني، إلى الرغبة في التغيير من المعاناة إلى الأمل، إضافة لأغان فلسفية حول الحياة والأمل والرغبة في الفجر المقبل والصباح الأجمل.

باسل زايد طاقة كبيرة من العطاء وقدرة فنية هائلة وجزء من رسالة الهم الوطني والإنساني، إصراره على المقاومة هو إصراره على الكلمة واللحن والأداء، وقد شكل كل هذا تجربة موسيقية تحتاج إلى المزيد من البحث والمتابعة.

* باسل زايد: فنان فلسطيني وهو أستاذ الجوقة في معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى.

الاتهامات الموجهة إلى الأجهزة المحمولة (جوال)

محمود بلو

كالعادة ما من اختراع جديد وفيه راحة وخدمة للبشرية إلا وتتلقفه أيدي الناس، وهذا ما حصل لأجيال أجهزة الهواتف المتلاحقة، وما طرأ عليها من تطورات مذهلة، ومع ذلك لم تنج هذه الاختراعات من الاتهامات والمخاوف.

ومن هذه الاتهامات ما توجه إلى الأبراج حاملة الهوائيات ومحطات التقوية الخاصة بها، ومنها ما يكون مثبتًا على خزانات المياه أو على أسطح المباني السكنية، ومنها ما يكون مستقلاً خارج حدود البلدة، وهذه أقلها مخاوف واتهامًا من مدى تأثير الأشعة الكهرومغناطيسية الناتجة عن استعمال هذه الأجهزة على الإنسان والحيوان والبيئة. مما تسبب (التلوث البيئي الإشعاعي)، وهناك من يقول إن الاجهزه المحمولة لها تأثير ضار على شبكية العين والأذن الوسطى، ويؤكدون أقوالهم بما أكدته الفحوص المخبرية.

وقالوا إن كثرة استعمال الجهاز تؤدي إلى ظهور بثور وحساسية في الوجه وعلى اليدين، والنفي أو التأكيد لهذه الاتهامات يعود إلى وزارة الصحة. وقالوا لهذه الأجهزة دور في احتراق العديد من محطات البترول، بسبب الشرارة الكهربائية الناتجة عند رنين جرس الهاتف في حالة استقبال مكالمة هذا إذا تصادفت مع وجود أبخرة قابلة للاشتعال داخل محطة الوقود، وكان الرد على هذا الادعاء أن الشرارة الكهربائية الساكنة الموجودة في جسم الإنسان عند تفريغها في جسم السيارة تكون شرارتها أقوى من شرارة الجهاز المحمول، واحتمال أن يكون لهما دور أو سبب في إشعال حريق احتمال شبه مستحيل.

أما بالنسبة للأضرار الأخرى التي ألحقتها هذه الأجهزة في حالات تتبع رجال المقاومة وتحديد أماكنهم وتصفيتهم، ففي هذه الحالات عدم الأخذ بالاحتياطات الأمنية عند الاتصال يؤدي إلى هذه العواقب. وتعلق الصغار والكبار بالألعاب الموجودة على هذه الأجهزة من باب الترفيه ومضيعة الوقت، واصطحاب الأجهزة إلى الفصول الدراسية، تعود عليهم بالضرر كضعف البصر ومضيعة الوقت. وحوادث السير لعدم التوقف لإجراء المكالمة. كما أن البث القريب من المستشفيات والمختبرات يؤثر على بعض قراءات الأجهزة الدقيقة، ما يؤدي إلى قراءات خاطئة بالفحوصات المخبرية، لذلك ينصح بعدم تركيب أو توجيه الهوائيات باتجاه المستشفيات ومراكز البحوث العلمية والمدارس تلافيًا لهذه الأخطار. والتخوفات موجودة، منها المعلومة كما أوردناها، ومنها المستورة، التي لم تكشف لنا الأيام حقيقتها. ومن باب الحيطة والحذر ينصح بأخذ الاحتياطات التالية: تقصير فترة الاتصال والإقلال من عدد مرات الاتصال واستخدام سماعات الأذن لإبعاد الجهاز عن الرأس وعدم استخدام الجهاز أثناء قيادة السيارة وإبعاد الجوال عن منظم ضربات القلب. ما أحوجنا إلى ثقافة جديدة لأجيال تجيد التعامل مع المتغيرات.

الإعلاميون ضحية أم جناة

عبد الهادي عوكل

تتعرض الصحف الفلسطينية والإعلاميون في الضفة وقطاع غزة إلى قمع من قبل حكومة الاحتلال الإسرائيلي من جهة وحكومتي غزة ورام الله من جهة أخرى، ما أدى إلى تذمر الصحفيين وتقييد حريتهم في العمل الصحفي، وأثر سلبيًا على عملهم، وفي هذا التحقيق تحاول "الحال" فتح المجال لتشجيع من صمتوا طويلاً من أبناء المهنة في قطاع غزة ليتحدثوا عن تجربتهم.

حرية الصحافة بغزة كذبة كبيرة

الصحفي منير أبو رزق مدير تحرير صحيفة الحياة الجديدة وأول من اعتقلته الحكومة المقالة في قطاع غزة قال لـ الحال: "إن اكتمال شروط تحديث المجتمعات، لا يتأتى إلا بتوافر استحقاقات بناء بيئة صحفية وإعلامية صالحة، ووصف أبو رزق إحجام العديد من الصحفيين عن فضح الممارسات والتجاوزات التي ترتكب بحق المواطن والوطن تحت شعارات الخوف والخلاص الفردي وضرورات الانتماء الحزبي بالخلل الاخلاقي والمهني، وقال: "إن بعض الصحفيين حولوا الإعلام من رسالة تحمل الانتصار للحق على الباطل إلى تجارة تخضع للربح والخسارة بمقياس الدولار والدينار والمصالح الحزبية وبالتالي باتت تغطيتهم لمجريات الأحداث تدور في فلك الانكفاء على السلامة أو المنفعة الشخصية دون أي اعتبار لرسالة الصحافة".

وأشار الزميل أبو رزق إلى أن انتماء أي صحفي فكريًا أو سياسيًا مع هذا الفصيل أو ذاك لا يعني بالمطلق أن يدافع عنه على حساب أصول وقواعد الرسالة السامية لمهنة الصحافة، ويضيف: " كنا كصحفيين وطنيين وعلى مدار عهود مختلفة وفي تسع حكومات متعاقبات لا نمنع أنفسنا عن انتقاد كل مخالفة أو تجاوز كنا نراه يقع بحق زميل هنا أو مواطن هناك بصرف النظر عن الانتماء السياسي وكنا نقترب من أية حكومة من الحكومات التسع، بقدر اقترابها من هموم وأحلام وتطلعات المواطنين، وكنا نبتعد عنها بقدر ابتعادها عن المواطنين وهمومهم والشواهد على ذلك كثيرة ولا يجرؤ أحد على تفنيدها".

ووصف أبو رزق حرية الصحافة بغزة بالكذبة الكبيرة، مشيرًا الى أن مستوى الإرهاب الفكري الذي يمارس من قبل حكومة حماس في غزة لم يسبق له مثيل، مبديًا استغرابه من عدم إقدام أي صحفي ينتمي لحركة حماس من انتقاد الحكومة المقالة في غزة رغم فظاعة ما ترتكبه من تجاوزات وأضاف قائلاً: " لا نؤمن كمتنورين أن هناك حكومة ربانية أو حكومة من الملائكة لا يجوز انتقادها كما يفعل بعض الصحفيين الآن بل نؤمن أن هناك حكومات تتكون من بشر يخطئون ويصيبون".

أبو هين: معاناة الصحفي انعكاس للواقع السياسي

من جهته قال رئيس كتلة الصحفي الفلسطيني ياسر أبو هين المحسوبة على "حماس" لـ"الحال": "إن الأحداث التي تتعلق بالساحة الإعلامية الفلسطينية هي انعكاس للواقع السياسي، وأضاف نتفهم ما يجري للصحفيين من قبل المحتلين الإسرائيليين بحكم أنهم يؤمنون بأن الإعلام الفلسطيني يشكل خطرًا عليهم ويفضح ممارساتهم القمعية بحق شعبنا، لكن أن تكون الملاحقة وهذه الممارسات من قبل حكومة رام الله فهي غير مقبولة وتمثل حالة غير مسبوقة في قمع الصحفيين.

وقال: "إن عَرض الصحفيين في الضفة الغربية على القضاء العسكري هو سابقة وتحدث لأول مرة بتهمة العمل ضمن مؤسسة حزب آخر"، مشيرًا إلى أن بعض الصحفيين أمضوا أكثر من خمسة شهور لأنهم يعملون في وسيلة إعلامية مخالفة.

وفي رده على سؤال حول ما يجري في قطاع غزة من انتهاكات بحق الصحفيين، قال أبو هين: " نحن ليس مع مبدأ المقارنة بين ما يتعرض له الصحفيين في الضفة والقطاع، مؤكداً أن ما يجري في الضفة يختلف عن ما يجري في غزة، وأضاف أن هناك حملة استهداف واضحة وكبيرة مخصصة للإعلاميين والمؤسسات الإعلامية في الضفة، مشيراً إلى أن هامش الحرية أضيق بكثير من مناطق أخرى.

وتابع أن هناك انتهاكات في قطاع غزة من قبل الحكومة التي يترأسها إسماعيل هنية، لكن هناك فرق بين ما يتعرض له الصحفيون في الضفة والقطاع، مؤكدًا أن أية حادثة تتعلق بالحريات الإعلامية نستطيع أن نتحدث بشيء من الحراك وأن نتدخل بحكم موقعنا في كتلة الصحفي الفلسطيني ونستطيع أن نحل والواقع يؤكد أننا استطعنا كثيرًا.

لا لسياسات تكميم الأفواه

من جهتها قالت مراسلة صحيفة القدس المحلية في قطاع غزة ماجدة البلبيسي لـ"الحال": "إن الصحف الفلسطينية وقعت ضحية بين حكومتي غزة ورام الله من جهة وحكومة الاحتلال الإسرائيلي من جهة أخرى"، وأشارت إلى أن صحيفة القدس ممنوعة من الدخول للقطاع من قبل حكومة الاحتلال الإسرائيلي فقط، مؤكدة أن لا مشكلة في الوقت الحالي مع الحكومة المقالة في غزة. وأعربت عن رفضها لسياسة تكميم الأفواه ومصادرة حرية التعبير والرأي من خلال رفض منع الصحف من التوزيع في الأراضي الفلسطينية، وأشارت إلى أن منع الصحف من التوزيع في أي من شطري الوطن يحد من تحركات وعمل الصحفيين. ويبقى الصحفي الفلسطيني يدفع فاتورة الصراع السياسي بين حركتي فتح وحماس رغم ما يمثله من قيمة وأهمية في الدفاع عن القضية الفلسطينية من جهة، وقضايا وحقوق المواطن الفلسطيني من جهة أخرى.

الصحفي المصري الذي فاز بجائزتين عن فلسطين

معتز شكري: الصحفي الفلسطيني "عفريت" في تميزه

حاوره: علي الأغا

عندما قابلته للمرة الأولى في مقر وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية بالقاهرة العام الماضي، شعرت أنني أمام نموذج فريد ليس في "الصحافة" فحسب، ولكن على صعيد "التواصل الإنساني والأدب الجم ناهيك عن سعة الاطلاع"، وحبه الذي يصل إلى درجة العشق لبلادنا وأهلها، وعندما فاز بجائزة "التفوق الصحفي" من نقابة الصحفيين المصريين أواسط شهر تشرين الثاني ٢٠٠٨ عن تقرير له عن الطائفة السامرية في فلسطين، كان أعده في نابلس، وسبق ذلك فوزه العام الماضي بجائزة "سعيد سنبل" عن الجنيه الفلسطيني، قررنا في "الحال" أن نقترب أكثر من الصحفي والباحث المصري معتز شكري وكان لنا معه هذا الحوار:

* الجمهور الفلسطيني يود أن يعرف أكثر من هو الصحفي معتز شكري؟

– اسمي معتز شكري، ولدت بالإسكندرية عام ١٩٥٤ ثم انتقلت للقاهرة حيث تلقيت تعليمي العالي، وبعد فترة من العمل مترجمًا انتقلت للعمل بالصحافة، وبالتحديد في وكالة أنباء الشرق الأوسط.

* في أحد مقالاتك كتبت: "إنني محسود من بني قومي لأنني أوتيت ما لم يؤته معظم المصريين، فقد قدر الله تعالى لي زيارة فلسطين.. هل يمكن أن تحدثنا عن هذه الرحلة الطويلة من القاهرة إلى رام الله؟

– أعتز كثيرًا جدًا بهذه الرحلة التي جاءت كوني صحفيًا ووجود آلية تم الاتفاق عليها منذ عهد الرئيس الراحل ياسر عرفات لسفر صحفيين مصريين بانتظام لكسر القيود والحصار الإعلامي المفروض على الصحافة الفلسطينية وللمساهمة في تسليط الأضواء الإعلامية على القضية وأيضًا لنقل صورة صادقة عن كل جوانب الحياة الفلسطينية.

والكلام يطول عن تفاصل الرحلة وإجراءاتها الطويلة والمعقدة والمؤلمة، بما في ذلك الاضطرار "المر" للتعامل مع الإسرائيليين للحصول على التأشيرة وتمديدها والحصول على بطاقة الصحافة التي تمكنني من التنقل عبر مدن فلسطين، وأقول هنا سريعًا إنني تعرضت للاحتجاز والاستجواب الأمني من سلطات الاحتلال بسبب مواقفي مع القضية وبسبب كثرة تنقلاتي ما أثار ريبتهم ولكنني هنا أذكر لقراء "الحال" – وللمناسبة أعتز بهذه الصحيفة وكنت حريصًا على قراءتها وأنا في رام الله – أن الرحلة شملت أهم مدن الضفة (رام الله–البيرة–نابلس–الخليل–أريحا–البحر الميت)، علاوة على القدس بالطبع، مع زيارات لكل من يافا–حيفا–عكا– أم الفحم–طبرية–الناصرة ، وغيرها.

وقد جعلت من ركائز عملي الصحفي خلال المهمة التي استغرقت حوالي أربعة اشهر تغطية مشاكل الفلسطينيين في خط الهدنة (١٩٤٨) وقابلت الدكتور أحمد الطيبي في مقر الكنيست ولم أكن أسعى لدخول الكنيست ولكن عندما قالوا لي إن المقابلة ستتم في مكتبه هناك رحبت لأنني رأيتها فرصة كصحفي لتلتقط عيني كل شيء يمكنني أن أستفيد منه في كتاباتي ودراساتي فيما بعد.

* نود أن نعرف أكثر عن الجائزتين التي فزت بهما، جائزة "التفوق الصحفي"، وجائزة "سعيد سنبل"، وتقاريرك الإخبارية التي أهلتك للفوز بهاتين الجائزتين؟

– لأن المهمة توزعت على شهرين في ٢٠٠٦ وشهرين في ٢٠٠٧ ، كان من حقي التقدم للمسابقة مرتين فكان أن أكرمني الله بجائزة أفضل مقال اقتصادي عن موضوع "أربعون عامًا من الشيقل فمتى يعود الجنيه الفلسطيني"؟ عام ٢٠٠٧، ثم عن موضوعي عن "طائفة السامريين" في العام الحالي. وربما أكون الوحيد –حسب معلوماتي– في تاريخ المسابقة– الذي يحصل على جائزتين عن مهمة صحفية واحدة وسبب منح الجوائز هو أنني في الحالتين كنت ألقي الضوء على شيء مهمل لم ينل حظه من الإعلام.

* خلال فترة وجودك برام الله، كونت صداقات كثيرة مع الصحفيين الفلسطينيين، كيف تقيم موضوعيًا أداء الصحافة والصحفيين في بلادنا؟

– انطباعي عن الصحافة الفلسطينية هو الإعجاب الشديد لدرجة الانبهار، وكأن الفلسطينيين يعوضون كثيرًا من مظاهر الحرمان في حياتهم بالإبداع في مهن بعينها، منها الصحافة وبالخلاصة، الصحفي الفلسطيني "عفريت" وليس بشرًا من شدة تميزه واجتهاده.

* كمتابع ومهتم للشأن الفلسطيني، كيف تقرأ "الحالة الفلسطينية الحالية" في ظل انقسام سياسي حاد وتحت احتلال لا يرحم؟

– هذا أصعب سؤال والمشكلة ليست في الانقسام السياسي الفلسطيني حاليًا ومأساة حصار غزة فحسب، ولكن في ربط القضية بأجندات خارجية، ومع أنني أميل للتعويل على الغوث الإلهي إذا ضاقت علينا الأرض بما رحبت، إلا أن الجانب البشري في الموضوع فيه تقصير شديد وأخطاء من الجميع: السلطة وفتح وحماس والعرب والمسلمين، ناهيك عما يسمى بالمجتمع الدولي، أقول هذا وأجري على الله!، أما إسرائيل وأميركا والغرب عمومًا فمن السذاجة ألا نتوقع منهم الأسوأ دائمًا.

* برأيك، هل قدمت جموع الصحفيين المصريين والعرب ما فيه الكفاية للدفاع عن قضية "العرب الأولى"؟، وكيف يمكن أن نعيد الاهتمام بهذه القضية؟

– بالتأكيد لا، فالمصريون والعرب – صحفيين وغير صحفيين – مقصرون تقصيرًا شديدًا، والبعض في العالم العربي يحدث لهم غسيل مخ وينظرون للقضية الفلسطينية نظرة فيها تساهل وانصراف وإحساس بالضيق.

* نعلم أيضًا أنك محرر اقتصادي وباحث في الشؤون الإسرائيلية وبالتراث العربي، كيف استطعت أن تجمع بين هذه المجالات، وما هي آخر أبحاثك بهذه المجالات، كلاً على حدة؟

– أتطلع لوضع قاموس في مصطلحات البورصة بالعربية والإنجليزية أجمع فيه خبرتي في الترجمة الاقتصادية، وفي مجال اهتمامي بالتراث أعكف على بعض أعمال الشيخ محمد عبده لدراستها، وفيما يتعلق بالبحث في الشؤون اليهودية والإسرائيلية من مشروعاتي بمشيئة الله تعالى وضع معجم يتضمن كل مصطلحات اليهود –ليس بتوسع وموسوعية عمل الدكتور المسيري رحمه الله– ولكن في قالب قصير ومبسط للجميع، حتى يتم فهم مصطلحات من قبيل "السنهدرين" و"القبالا" و"البار متسفاه" و"الروش هاشنا" و"الكوشير"، إلخ.

مهنة أوجدها الحصار

نساء يسترزقن في موسم الغاز بتعبئة الأنابيب للرجال

رحمة ثابت

لم تقف معه كثيرًا دقائق وحملت الأنبوبة التي كان يضعها أمام قدميه واتجهت نحو طابور طويل من الرجال أمام محطة الوقود، ولم تقف أيضًا طويلاً ولم تأخذ دورًا كغيرها بل وقفت على جانب الطابور في المقدمة وسرعان ما عادت بالأنبوبة تجرها بعد ما امتلأت بالغاز أعادتها أمام صاحبها الذي وضع في يدها عشرة شواقل وغادرت لتبحث عن غيره.

زمن عضلات النساء

أم نبيل "٤٧ عامًا" كبعض النساء في غزة ابتدعن مهنة جديدة من قلب الحصار في سبيل توفير لقمة العيش وإن لم تكن أم نبيل الأولى لكن تجربة غيرها دفعتها لتقليدها كما قلدتها كثيرات حتى أصبحت ذات ملامح محفوظة في عيون زبائنها من الرجال أمام محطات الوقود في قطاع غزة.

"المرة الأولى كانت بسيطة وخرجت منها بقرشين ما دفعني لتكرارها" هكذا وصفت أم نبيل بداية عملها الجديد وتقول: "في ذات مرة وبينما كنت أقف في طابور النساء لتعبئة أسطوانة الغاز لاحظت أن هناك سيدة وقفت في الطابور أكثر من مرة كانت تملأ الأنبوبة وتسلمها لرجل ينتظرها خارج الطابور حتى عرفت أنها تقوم بذلك مقابل مبلغ مالي".

وتضيف: "أعجبتني الفكرة وعندما انتهيت من تعبئة أنبوبة منزلي ذهبت وبحثت عن رجل يبدو أنه ميسور الحال وعرضت عليه أن أملأ له الأنبوبة ويعطيني ما فيه النصيب فوافق الأول والثاني وهكذا كنت أقف في الطابور أملأ لهم الأنابيب مقابل عشرة شواقل أو خمسة عشر شيقلاً والبعض يكرمني بأكثر".

جلست أم نبيل على حافة الطريق بعدما فتحت زجاجة عصير تبل بها عرقها وبدأت تحدثنا عن سر المهنة الجديدة: "المعروف أن أصحاب محطات الوقود دائمًا يعطون الأولوية للنساء في تعبئة اسطوانات الغاز حتى لا يقفن في الطابور وسط الرجال لذلك فإن الرجال يفضلون أن نقف بدلاً منهم في الطابور ونملأ لهم الأنابيب على أن يقفوا هم بالساعات تحت الشمس وأحيانًا يعودوا بأنابيبهم فارغة دون أن يلحقهم الدور".

مواسم

غالبًا ما كانت أم نبيل تقف في محطة وقود قريبة من منزلها في مخيم الشاطئ للاجئين غرب قطاع غزة لكن "مواسم الغاز" على حد وصفها دفعتها للتنقل من محطة إلى أخرى فتقول: "الغاز غير موجود دائمًا فهو حسب إمكانيات المحطة وقدراتها وعلاقتها لذا لا يتوفر الغاز في كل المحطات معًا في ذات الوقت إلا في حال فتحت المعابر لأيام عديدة وهذا "موسم بالنسبة لنا".

وتضيف: "لذلك بت أبحث عن المحطة التي يتوفر فيها الغاز لأقف فيها حتى أحيانًا وفي بعض الأزمات حيث ينقطع الغاز من المحطات وسط غزة أتوجه للجنوب ومعروف أن هناك غازًا يهرب عبر الأنفاق فأجد في تلك المحطات رزقتي".

فتحية أنابيب

اكتفت أم نبيل بهذا القدر وتركتنا بعد ما رأت زبونًا ميسور الحال يمكن أن يكرمها بأكثر من عشرة شواقل لكن فتحية "٥١ عامًا" كانت تقف على جانب الطابور وإلى جوارها أنبوبة غاز ينتظر صاحبها أمام المحطة.

لا يبدو أن حياة الكفاح والكد جديدة على فتحية فملامحها ببساطة تشير إلى أنها مرت بمعاناة طويلة مع الحياة والعمل حتى تحدثت إلينا فقالت: "أنا أساسًا كنت أعمل داخل الخط الأخضر في الزراعة وتعرضت ساقي خلال العمل للكسر واتخذت تعويضًا بنيت به منزلاً متواضعًا لأسرتي في المخيم". وتضيف: "لكن منذ أن أغلقت الطرق ومنع العمال من العمل داخل الخط الأخضر بحثت عن لقمة العيش بكل السبل فقد بعت الخضار في السوق وعملت في بعض المزارع لكن الحياة صعبة".

وتضيف: "تعرفت مرة إلى أم نبيل وأعجبتني طريقتها الجديدة في العمل ووجدت أن الأمر غير متعب وغير مكلف بل على العكس أعود آخر اليوم بمبلغ جيد أعيل به أسرتي". تضحك فتحية وتضيف: "الآن أصبحت لي شهرة واسعة لم اعد أبحث عن الزبائن بل هم من يسألون عني حتى أصبح الكثير منهم يناديونني فتحية أنابيب".

بدأ العامل في المحطة بتعبئة الأنبوبة لفتحيه فتركتنا وهي تقول: "بس بلاش تحكوا كتير في الموضوع لتقطعوا رزقتنا ولا تصير كل البلد تشتغل زينا".

اقترب العيد وللأضاحي سلام من أرض السلام . . غزة تئن وجعًا ولسان الحال: "ارجع يا زمان"

خضرة حمدان

اليوم وقبل دخول عيد الأضحى المبارك بأيام قلائل، يبتسم الحظ في غزة فقط لخروف استطاع أن يسلك نفقًا أو قطعة ملابس أو لعبة أطفال أخذت طريقًا أسود لتهرّب إلى غزة تحت جنح الظلام وأكمة التراب وسط احتمالات موت مهربيها.

في غزة وعلى بعد حجر من تأدية المسلمين في بقاع الأرض فريضة الحج والتقرب إلى الله بمنسك الأضاحي، يقف الغزيون على مسافة واحدة من لحوم الأضاحي فلا أحد يمكنه أن يؤدي هذه الشعيرة في ظل منع الاحتلال تزويد القطاع بما يلزم من هذه اللحوم، وفي ظل ارتفاع مخيف بسعر المتواجد والمهرّب منها.

العديد من المواطنين الذين التقتهم "الحال" في شوارع غزة وعلى مقربة من سوق الحلال بمخيم البريج وبمدينة غزة يوم الجمعة قالوا إن هذا القطاع المهم بات يصارع أنفاسه الأخيرة في ظل منع إدخال العجول والخراف والأعلاف للقطاع وهو ما كفلته اتفاقية باريس الاقتصادية والتي بدورها ربطت الاقتصاد الفلسطيني بأراضي السلطة الوطنية الفلسطينية بالاقتصاد الإسرائيلي بالكامل.

الشاب أيمن والذي يعيل سبعة من الأطفال والزوجة قال: "جئت لشراء أضحية لأطفالي ليشعروا بالعيد ولأتمكن من تأدية هذه السُّنة ولكنني فوجئت بالأسعار رغم أنني سمعت عن تهريب الخراف عبر الأنفاق ولكن ما وجدته لا يمكنني من أداء هذه السُّنة". الخروف المصري لا يحل المشكلة فقد بلغت أسعارها أضعافًا مضاعفة رغم أنها تهرب رخيصة، ولكنها بمجرد دخولها للسوق المحلي بغزة فإن أسعارها ترتفع لتفاجئ المواطن العادي الذي يجمع أوراقه المالية القليلة ويغادر آسفًا فلا أضحية في عيد الأضحى.

للخراف حكاية في غزة، فهي وإن تواجدت لدى بعض الرعاة البدو فإنها بالتأكيد بعيدة عن متناول المواطنين حيث وصل سعر الواحد منها إلى ما يفوق ٢٥٠ دينارًا أردنيًا وهو ما يؤكده الراعي أبو محمد المنايعة الذي يقول: "أحضر إلى سوق الحلال في أية بقعة من القطاع على أمل أن أتمكن من بيع عدد منها ولكنني أعود كما أتيت فالأسعار لا تناسب الزبائن الذين يقفون متفرجين لا أكثر".

أسعار الحلال في غزة ليست في متناول الجميع فقد يصل سعر الخروف الواحد من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ دينار، أما سعر الحصة الواحدة في عجل يتم تقسيمه إلى سبع حصص فقد وصلت إلى ٢٥٠٠ شيقل أو ما يعادل ٥٠٠-٧٠٠ دينار أردني وهو ما لا يستطيعه المواطن الغزي في ظل فقر وصلت نسبته إلى ٨٠٪ كما أوردت اللجنة الشعبية لمواجهة الحصار.

ماذا يعرف العالم عن الحصار

هو إغلاق على الهواء في غزة، أو بأدق من ذلك هو تضييق على قاطني القطاع بكل غمضة عين، فلا خروج من غزة ولا دخول إليها إلا بإذن الاحتلال، النيران والتحطيب عادت للقطاع بقوة ففي غزة تجد كل ما اشتقت إليه مع أجدادك إن كنت عايشتهم، كالطهي على النيران أو إعداد الشاي على حطب جمعته من مكان بعيد، أو حتى إشعال البوابير باستخدام الديزل "السولار" مملح بملعقة واحدة من الملح الأبيض، حيث أحال الغزيون السولار إلى كيروسين بملعقة ملح طعام وهي تجارب تحسب للحصار الذي أنتج عقولاً مبدعة بقطاع غزة.

هناك في جباليا البلد شمال مدينة غزة وسط أكوام من القش وأوراق الشجر وأغصانه الجافة، وبعض الخرق البالية تربعت أم نهاد طنبورة على الأرض مفترشة إطار سيارة قديم، ومتقابلة وجهًا لوجه مع فرن طيني أوسطه إسمنت وأعلاه فتحة للدخان ومن أسفل تحشو وقودًا للنيران.

في عملية صعبة بدائية إلى حد ما استطاعت أم نهاد أن تستجمع صبرها على الحر ومكابدة الدخان أن تخرج أول رغيف خبز بطعم الحصار، كانت توشك على أكل قضمتها الأولى لولا أن باغتتها شرارة مضيئة أخمدتها بقطعة قماش مبتلة، وعادت لتكمل مهمتها بصعوبة ومهارة ألفتها لدى والدتها وجدتها، حينما كانت جباليا البلد حيث تقطن منذ زمن شمالي قطاع غزة تفتقر إلى غاز الطهي وأفران الغاز.

أم نهاد أخذت تدندن على صوت إبرة الوابور وتقول: "اخلص وخلصنا جعنا ومتنا.. وخبز وطبيخ على النار ويا ويلي بعدنا صغار".

إحصاءات مخيفة

حصار الغزيين عاد عليهم بخسائر طائلة يتغلبون عليها بتجارة الأنفاق الرائجة وهي بالتالي ترفع الأسعار بشكل دراماتيكي مخيف يعجز عنها المواطن البسيط والعاطل عن العمل.

فقد أظهرت الإحصاءات التي نشرتها اللجنة الشعبية لكسر الحصار أن الحصار خلف خسائر مباشرة فاقت ٧٥٠ مليون دولار، وقد بات ١٤٠ ألف عامل عاطلين عن العمل جراء إغلاق المعابر والحصار المستمر على غزة منذ عامين.

أما الفقر فإن ٨٠٪ من الشعب الفلسطيني في قطاع غزة باتوا تحت خط الفقر، وبلغت نسبة البطالة ٦٥٪، و٦٥٠ دولارًا معدل دخل الفرد السنوي للمواطن الفلسطيني في غزة، وأكثر ما يخيف المواطن الغزي أن تصل نسبة الأطفال المصابين بسوء التغذية وفقر الدم إلى أكثر من ٦٠٪، وأكثر من ثلث ضحايا الحصار هم من الأطفال، حيث بلغ عدد ضحايا الحصار أكثر من ٢٥٦ ضحية قضوا وهو يأملون بتلقي العلاج اللازم.

أم نهاد.

من الضحك إلى اللاضحك

أحلام بشارات

كنّ نشيطات جدًا مثل النمل، يثابرن في خلق حقيقة ليست أكبر من حلم، ولم يكففن عن التساؤل:

" ماذا سنصبح "؟

" وثمة مستقبل وتوقّعات إذًا "؟

أقول وصديقتي، وتضحك، وأضحك، ونردف بين كلمة وإيماءة:

" يصدّقن الأمر تمامًا، وكأنهن مرشّحات للمجلس التشريعي "!

كان جميلاً أن يصدقن الأمر، كان إيهامًا مشروعًا بالحلم ومن ثمّ بالحياة، أذكر أن صديقتي هتاف تذمّرت كثيرًا، وأنا أيضًا لم أجد الوقت مواتيًا كي أغبطها، فلم أفعل، فأن تخسر يومًا من عطلتها الأسبوعية، مضافًا إليه يومًا من أيام عملها، وتتوجه إلى جنين، لتلتزم بدورة من الثامنة صباحًا حتى الرابعة، أمر لا يحتاج لذكاء كي تفهم أنه سيئ على أقل تقدير، لذا شاطرتها المشاعر، وقلت لها في اتصال هاتفي أجريته بدافع المواساة والتندّر: " مسكينة، حاولي أن تكوني بخير، إيّاك أن تعودي عجوزًا ".

كان اللّقاء سيعقد في بيت المسنين في جنين كما فهمت، صديقتي لم تعرف ذلك، ولم تعرف السبب، عادت من دورة التوعية حول الانتخابات وهي تحاول ألاّ تندم، رغم أنها لم تر المسنين بتاتًا، في الأيّام التالية صرت أمسكها متلبسة بالابتسام، رغم أنها كانت ملزمة بالإعداد الإسبوعي لحضور متابع من لجنة الانتخابات المركزية لحصتها الصفيّة، وكما يعرف الأغلبية ليس من أفضل الأشياء أن يحضر المشرفون حصص المعلّمين، حتى لو كان الأخيرون قمة في التفاني!

صرت أرى صديقتي كل صباح تمسك بإحدى الأوراق، وفي كل صباح تختلف الأوراق شكلاً ومضمونًا عن سابقتها، كانت تحمل برنامجًا انتخابيًا لهذه المرشحة أو تلك، بعض التلميذات كنّ يدعمن إحدى المرشحات فيسارعن بإعداد ملصقات مناسبة تدعم حملتهن.

أقرأ البرامج الانتخابية أنا وصديقتي بتمعّن، أفهم أنها معدّة بمساعدة من الأهل أحيانًا، لكن ذلك لا يجعلنا، أنا وصديقتي، نقلل من أهميتها، تقول لي صديقتي إن أحد الصفين المأخوذين كعيّنة للتجربة كان أذكى، ففضل أن يرشّح طالبتين فقط حتى لا يشتّت الأصوات، نجد في هذا سببًا عفويًا لابتسامة متسامحة من القلب لا تشبه ما يجري في شوارع غزة والضفّة، ونظل ننتظر بشوق انعقاد تلك الانتخابات في الأسبوع التالي، تتحلّق حولنا تلميذات صغيرات لهن وجوه جميلة، وتسكننا نوايا غير معلنة في الضحك.

نكون صامتات أنا وصديقتي في بعض الوقت، نفكّر بفكرة تتعلق بجدوى العدوى، فيساورنا الخوف والأمل: " إذ سيكون مخيفًا لو تأثرّت أولئك الطالبات، المرشّحات والناخبات، بواقع ساستنا وشعبنا، لكنه في ذات الوقت سيكون مفيدًا جدًا لو كان التأثر عكسيًا ".

ننظر أنا وصديقتي إلى الساحة في صباح آخر، التلميذات ما زلن يتحركن بمرح يشبه مرح الأطفال العاديين من أبناء المجتمعات الأخرى، وفجأة أكون وهي قد فقدنا النية في الضحك، لأسباب لا تتعلق بأحوال الطقس لذلك الصباح!

كاميرات المراقبة في جامعة النجاح . . ما بين سلامة الطالب وانتهاك خصوصيته

كايد معاري

عندما تدخل في كل صباح إلى تلك القلعة التي تفخر بانتمائك إليها، وحين تطأ قدماك بواباتها الشمالية أو الغربية وكالمعتاد وفي مشهد يتكرر بشكل شبه يومي وبعد تحية الحرس الصباحية في قليل من الأوقات، يطلب منك إظهار البطاقة الجامعية حتى يتم التأكد إن كنت طالبًا منسّبًا أم لا، لتمر بعد ذلك من خلال بوابات إلكترونية صممت لتفتشك إلكترونيًا دون أن تضطر إلى رفع ملابسك أو غير ذلك لتأخذ بعدها نفسًا عميقًا وتتوجه إلى حيث محاضرتك أو للقاء الأصدقاء والزملاء في إحدى الساحات العامة والتي زودت بكاميرات ترافقك في ذهابك وإيابك.

جامعة النجاح الوطنية أو كما يطلق عليها البعض " جامعة الحصار والانتصار " كبرى جامعات الوطن والتي تمنح خبراتها العلمية والأكاديمية لما يقارب من ٢٠ ألف طالب وطالبة من مختلف محافظات الضفة الغربية، قررت تزويد الحرم القديم في الجامعة بكاميرات للمراقبة وضعت في الساحات العامة إضافة إلى قرارها بتركيب بوابات إلكترونية الأمر الذي أحدث جدلاً ونقاشًا وحراكًا في أوساط الطلبة والكتل الطلابية المختلفة.

وفي محاولة من " الحال " لرصد وجهات النظر المختلفة وتسليط الضوء على الدوافع الحقيقة وراء هذه القرارات وعلى الرغم من اعتذار عمادة شؤون الطلبة في الجامعة عن الحديث ومنع الأمن الجامعي لنا من تصوير البوابات الإلكترونية خوفًا من أن ندخل في " دوامة " حسب قولهم، سعينا لمعرفة موقف إدارة الجامعة وطلبتها والكتل الطلابية الناشطة فيها ليتضح لنا أن هناك جدلاً يدور حول هذه القرارات.

هروب من الحقيقة

من جانبه أكد سامر حنني منسق التحالف اليساري في الجامعة رفض كافة الكتل الطلابية لوضع كاميرات للمراقبة داخل الحرم الجامعي أو بوابات إلكترونية في مداخل الجامعة وأن الكتل وجهت لإدارة الجامعة العديد من الكتب التي توضح فيها مواقفها ومطالبها بتوفير ضمانات تمثلت بضرورة إتلاف التسجيلات الموجودة بشكل يومي خاصة أنه من السهل على الاحتلال اقتحام النجاح وأخذ هذه التسجيلات متى شاء، وأوضح أيضًا أن مبدأ وجود الكاميرات غير صحيح لما فيه من تقييد للحريات الشخصية والعامة لطلبة الجامعة وأن تلك الاجراءات لن تمنع أو تردع من يريد القيام بممارسات غير أخلاقية.

ورأى حنني أن المبررات التي تسوقها الإدارة تلخصت بأن هناك حوادث سرقة، وتخريبًا للمرافق العامة، وتدنيًا في وعي الطلبة، والخلافات التي وقعت بين أنصار حركتي فتح وحماس إضافة إلى حادثة استشهاد الطالب محمد رداد والتي تطرحها الإدارة من ضمن مبرراتها في كل سياسة جديدة تريد تنفيذها في الجامعة، واصفًا رفض الحديث حول هذا الموضوع " هروبًا من مواجهة الحقيقة التي يدركها أغلبية طلبة النجاح ". واختتم منسق التحالف اليساري سامر حنني حديثه بالقول: " إن مطالب الكتل الطلابية هي مطالب نقابية بحتة لا تنطوي على أية إساءة لإدارة الجامعة ولا بد من عقد اجتماع جدي تحل فيه قضية الكاميرات والبوابات الإلكترونية وممارسات الأمن الجامعي وغيرها من المطالب والحقوق، مبينًا أن لا اعتراض لدى الكتل الطلابية على وضع كاميرات مراقبة خارج أسوار الجامعة لحمايتها من أي اعتداء خارجي، مشيرًا إلى أن الكاميرات قد تكون غير مفعلة لغاية الآن.

معسكر

ورأت الطالبة في قسم الصحافة أديم رمضان أن وجود الكاميرا لا يشكل انتهاكًا لحريتها الشخصية وأنها لا تفعل ما يجعلها تخشى وجود كاميرات، وأن تضخيم قصة تركيب الكاميرات أمر غير منطقي، " فطلبة الجامعة ليسوا ملائكة وهذه الاجراءات الوقائية ضرورية في ظل الجهل وتدني الوعي الذي انعكس على ممارساتهم ".

وصرحت أن وجود الكاميرا يجعل من يفكر بارتكاب أية ممارسة غير أخلاقية أن يتردد ويفكر عشرات المرات قبل أن يقوم بأي شيء مخل بالأخلاق، مشيرة إلى أن هذه الطريقة قد تسهم في الحد من التجاوزات والاختراقات المختلفة وقد تكون أكثر فاعلية من كل الندوات وورش العمل التي لا يتعب الطالب نفسه حتى بالتفكير بالمشاركة فيها.

بينما انتقدت أديم رمضان وجود البوابات الإلكترونية لما يترتب عليها من إعاقة لحركة الطلبة وتأخرهم في بعض الأحيان عن محاضراتهم، إضافة إلى قيام الحرس في بعض الأوقات بتفتيش الحقائب ما ينتهك الحرية الشخصية للطلبة ويعرضهم للإحراج واظهار أشياء لا يودون إظهارها.

وفي السياق ذاته، قالت الطالبة في قسم اللغة الفرنسية ضحى فايز: " إن الإجراءات التي قامت بها جامعة النجاح دون جامعات الوطن من تركيب للبوابات الإلكترونية ولكاميرات المراقبة داخل الحرم الجامعي، وضعت الطالب في دائرة اتهام دائمة وجعلته حين يدخل إلى الحرم الجامعي يشعر كمن يدخل إلى معسكر وليس لجامعة أخذت على عاتقها تنمية المجتمع وترسيخ مفاهيم العدالة واحترام الحريات، والكاميرات والبوابات ما هي إلا وسائل وقائية لم ولن تحل المشكلة فمن يريد أن يسرق أو يقتل أو يخدش الحياء لن يخشى كاميرا أو بوابة إلكترونية وبالتالي لا بد من البحث عن أساليب أخرى أكثر حضارة " .

تضخيم ومبالغة

ورفض أيمن المصري المحاضر في جامعة النجاح الوطنية المبالغة وتضخيم القضية والنظر إليها من الزاوية السلبية فقط، مؤكدًا أن الجامعة ذهبت إلى هذه الإجراءات مجبرة لتنأى بنفسها وبطلبتها وبسمعتها عن الفلتان الأمني وإفرازات المماحكات الحزبية، واستبعد كذلك أن يكون هدف البوابة أو الكاميرا سياسيًا، إنما للحد من ممارسات لاأخلاقية ناتجة عن تدني وعي الطلبة في الجامعة.

وأشار المصري إلى أن معظم الجامعات العربية وجدت فيها هذه الوسائل، مشيرًا إلى أن الكتل الطلابية لم تتعرض لتهميش، بل همشت نفسها من خلال ممارساتها وعدم اهتمامها بقضايا الطالب وأن من حق الجامعة الاهتمام بسلامة الطالب وحمايته من الخروقات المختلفة التي قد تحصل في الحرم الجامعي من جهات عديدة . ودعا المصري جميع الأطراف في الجامعة إلى الحفاظ على النجاح منارة للعلوم ومعلمًا علميًا يفتخر به.

دون صواريخ أو غارات

أفلام قصيرة تدير حربًا بين غزة وسديروت

أسماء شاكر

" أربعة عشر كيلومترًا هي ليست كل ما يفصل قطاع غزة عن بلدة سديروت، خاصة بعدما باتت الصواريخ الغزية المحلية الصنع، من أهم وسائل المقاومة وللرد على العمليات العسكرية الإسرائيلية داخل القطاع. ورغم حرب (الفعل) و(رد الفعل) بين غزة وسديروت، إلا أن حربًا افتراضية أخرى كانت تشتعل على موقع قناة arte الفرنسية، بعدما بدأت بتنفيذ مشروع بعنوان (Gaza. Sederot)، تقوم فكرته على إنتاج أفلام قصيرة، لا تتعدى الدقيقتين، بحيث تحتوي على قصة تبين هموم ووجهة نظر كلا الطرفين، في غزة وسديروت، ليتم عرض ٥ أفلام أسبوعيًا على الموقع.

تخوفات

يوسف عطوة، مدير قسم إنتاج الأفلام الوثائقية في وكالة رامتان بغزة، يرى أن المشروع الذي أشرفت الوكالة على تنفيذه في غزة، أثار لديهم بعض التخوفات في البداية، خاصة وأن المسألة كانت تجمع بين طرفين فلسطيني وإسرائيلي، إضافة للإشكالات السياسية الداخلية التي قد تعترض تنفيذ المشروع.

يقول عطوة: " كانت الفكرة جديدة ونوعية، الأمر الذي شجعنا على الخوض بتلك التجربة بكامل تفاصيلها، كما وجدنا أن المشروع يمكنه أن يعبر عن الحياة الغزية ومعاناتها أمام المشاهد الأوروبي والعربي والإسرائيلي أيضًا ". موضحًا أن موافقة رامتان على المشروع كانت بعد دراسة، وتأكد من أن الاحتكاك لن يكون مع الجانب الإسرائيلي، وإنما مع القناة الفرنسية القائمة على الفكرة، حتى لا يدخل في دهاليز التطبيع.

لكن المخرج خليل المزين، يرى أن هدف المشروع أوروبيًا هو تقريب وجهات النظر، وتوضيح طبيعة الصراع القائم، ولكنه فلسطينيًا يعني الدفاع عن حق الغزيين في الحياة.

قائلا: " تعتمد مشاهد الأفلام القصيرة علي البساطة، خاصة وأن احد شروط المشروع أن ترصد الأفلام الحياة الطبيعية للشخصيات المنتقاة ".

بعض المشكلات فقط

صياد، صيدلي، مزارع، مسعف، طالبة جامعية، ورئيس فرقة فنون شعبية، ستة أشخاص كانوا أبطال المشروع الذين تدور حولهم القصص الفيلمية القصيرة، مقابل ستة أشخاص في سديروت، يمثلون طبقات الحياة الاجتماعية بمستوياتها الاقتصادية والثقافية، تم اختيارها بدقة شديدة، وبعد ٤ شهور من البحث المستمر، بحسب المعايير التي يتم وضعها للشخصيات المطلوبة، لضمان استمراريتهم في المشروع، فالأمر يتعلق بحياة تلك الشخصيات بالدرجة الأولى، والتي تعكس معاناة شرائح المجتمع المختلفة تحت ظروف الحصار والاحتلال، ونقص الاحتياجات الأساسية في القطاع.

لكن أول المشكلات التي واجهت فريق وكالة رامتان كانت هي ذاتها الشخصيات، فقط اضطروا في بعض الأحيان لتبديل شخصية بأخرى أثناء اختيار الأشخاص، كما أن ظروف بعض الشخصيات قد لا تتوافق مع وقت التصوير، الأمر الذي يسبب بعض المشكلات، بعضها فقط.

أما عن المشكلات التقنية والتكتيكية للمشروع، فقد تلخصت " بالتجربة الجديدة " كما يقول المخرج المزين، فتكثيف قصة تحكي عن المعاناة والحصار والمرض بدقيقتين ليس أمرًا سهلاً، خاصة وأن أية قصة تتم دراستها قبل تصويرها، أولا ماليًا وثانيًا مضمونيًا لمعرفة اذا كانت فعلاً ستوصل الرسالة وتؤثر على قناعات المشاهد الغربي أم لا.

لا وجه للمقارنة

ورغم إنتاج ٢٤ قصة فلسطينية تحكي عن الحصار والمرض والوقود والكهرباء والسفر والشباب والأحلام، وإنتاج ٢٤ قصة إسرائيلية تحكي عن هواجس الخوف والرعب من صواريخ القسام، إلا أن المقارنة لم تتساو بعد.

يقول عطوة: " لا يمكن الحديث عن ميزان.. إذا لم تكن هناك كفة أصلاً، فالحرب غير متكافئة، سواء كانت فيما يخص القضية والفكرة في كلا الجانبين، أو فيما يخص التقنيات الفنية المستخدمة "، مشيرًا إلى نجاح طاقم مكون من ٧ أفراد بقبول التحدي، بكاميرات وأدوات إنتاجية بسيطة، خاصة وأن الجانب الإسرائيلي استخدم شركتي إنتاج عالميتين لتنفيذ للمشروع. ويتابع عطوة: " لا وجه للمقارنة أبدًا، خاصة وأن قصص الجانب الإسرائيلي كانت تدور فقط حول الخوف من صواريخ القسام، هم الذين يملكون البيوت والسيارات المحصنة، والذين يمكنهم السفر إلى أي مكان آخر، ماذا عن قطاع محاصر لا يملك الخبز والدواء "؟

الصورة.. أخطر من ١٠٠ صاروخ

تراجيديا، كوميديا سوداء، دراما واقعية، هي كلها مصطلحات، استخدمت في القصص الغزية المتنوعة، هذا ما يؤكد عليه المخرج المزين، قائلاً: " السينما أداة خطيرة، يمكنها أن تغير المعادلة، وهي ذاتها إحدى الوسائل التي استخدمها الإسرائيليون لاحتلال فلسطين وحض اليهود على الهجرة "، يتابع المزين: " نحن في عصر الصورة، فمادة فيلمية جيدة قد تعادل ١٠٠ صاروخ قسام ".

وعن ردود الفعل، يرى عطوة أن المشروع الذي يوشك على الانتهاء، بعد شهرين من بدايته، قد يشكل فارقة لدى المشاهد الإسرائيلي، وليس الغربي فقط، في توضيح تفاصيل المعاناة في القطاع، وطبيعة الصراع القائم فيما يخص القضية الفلسطينية، فمن الطبيعي أن يدافع الفلسطيني عن أرض احتلها الغرباء بأية وسيلة كانت.

يذكر أن مستوطنة سديروت أقيمت أراضي قرية " نجد " الفلسطينية، شمال شرقي القطاع عام ١٩٥١، بعد تهجير أهل القرية في نكبة الـ٤٨. ولمن يرغب من قرائنا الكرام برؤية الافلام تجدونها على عنوان

http://gaza-sderot.arte.tv/ar

عــزاء أم فــرح في اســمــهــا

أسماء كراجة

بـدت عـلامـات الـفـرح فـي أحـرف اسـمـها وغابت عن ملامح وجهها، سفينة على وسط حائط المنزل تحمل آمال وأحلام أم فرح أرملة حسين عبد الحافظ صالح من مخيم الجلزون علها ترسو بها على شاطئ المؤسسات وأهل الخير من أبـنـاء المـخـيـم وكـل مـن يـحـن قلبه شفقة عليها.

مررنا بالطريق الفرعية الترابية الضيقة للمخيم التي غطتها بقع المياه الملوثة، فيما تعلو الشارع الترابي جدران طوب باهتة اللون، إلى أن وصلنا إلى بيت أم فرح المتواضع، دخلنا ساحة البيت الضيقة عبر ثلاث درجات إسمنتية منخفضة وجلسنا على مقاعد ملونة مهترئة، لم يكن من خلفنا شبابيك أو ستائر كالمعتاد بل حائط غير مكتمل على ارتفاع قليل أكمله سياج سلكي، ومن أمامنا الغرفتان الوحيدتان في المنزل رسمت على جدرانها رسومات أطفال صغار استبدلت بالألعاب والصور التي يلهو بها أطفال العالم، جلست على كرسي بلاستيكي ترتدي عباءة سوداء وشالاً أحمر وتنتعل حذاءً أسود صيفيًا يحوي قدميها المنسحبتين خوفًا من مواجهة موجة باردة تحت قطع الصفيح التي غطت سقف المنزل.

تعتاش هذه الأسرة على دخل شهري يقارب الـ ٤٠٠ شيقل من أموال الزكاة تكفي لشراء الحاجات الأساسية وجزء بسيط من مصروف البنات لكنها لا تكفي لإخراس جابي الكهرباء والماء إذا طرق الباب لتحصيل فواتير الشركة كونه لا يعلم بحال هذه الأسرة إلا إذا أقنعته بوضعها وأشفق عليها، فقائمة الديون متراكمة منذ مدة طويلة تضاف إليها الفواتير مع بداية كل شهر.

صمتت قليلاً ومسحت بيدها الدمع عن وجهها وبالأخرى أشارت إلى بيت جيرانهم الذين تمتنع عن زيارتهم رغم علاقتهم الجيدة خوفًا من أن تشم بناتها رائحة اللحم عندما تنبعث في الأجـواء ويـعـتـدن عليه ويطلبن أشياء لا تستطيع توفيرها لهن، كونها لا تملك في جيبها شيقلاً واحـدًا يسد هذه الحاجة ويسكت رائـحـة الأكـل الـزكـيـة عـنـدمـا تـحـوم حول أجواء المنزل في محاولة من الأم لمنعها من الدخول، روت لنا قصة نور عندما طلبت منها "مقلوبة" ولم يكن بحوزتها سوى خمسة شواقل، فأرسلتها إلى محمد صاحب دكان يعلم بحالها، ولم تجده فأدركت أنها لن تأكل الدجاج في ذلك اليوم، صدفها عمها في الشارع وبعثها إلى المذبح لتشتري دجاجة "بخمسة شواقل" والباقي "بعدين بيندفع"، غير أن الدجاجة أبت إلا أن تـأكـلـهـا نـور وأخـواتـهـا فـوجـدت صاحب الدكان هناك واشترى لها ما تحتاجه "للمقلوبة" وأوصلها إلى بيت، تلك هي المرة الوحيدة التي تأكل فيها العائلة الدجاج منذ شهر، أما باقي الأيـام فتدمج الأم الوجبتين في وجبة "بنوكل بطاطا، زيت، بعمل الفطور والـغـداء وجـبـة وحـدة وعـلـى الـعـشـا بـعـمـل ساندويشات، شو بدنا نعمل نفسي نعيش زي الناس"، فهل يعقل بأسرة فلسطينية أن تغيب رائحة الدجاج من بيتها شهر بأكمله؟

همت واقفة وانكمشت على نفسها خطت نحو الأمام بالقرب من الجهة المقابلة للباب ربتت بيدها اليمنى على كتفي وباليسرى مسحت دمعًا عن وجنتيها تودع أملاً جاء يطرق باب بيتها ذاك الصباح.

"مسافر".. ولكم ابتسامتي

رحمة حجة

"أنا مسافر" قالها عبد القادر زيد مبتسمًا لأصدقائه قبيل رحيله الأبـدي، لم يـدرك أي منهم أنه سيكون الوداع الأخير. قبل ١٩ عامًا أطلق صرخة ميلاده وفي منتصف تشرين الأول الماضي خطفت الرصاصة التي اجتازت هواء المسافة بين مستوطنة بيت إيل ومخيم الجلزون صرخة طفولته البريئة وحولته إلى طائر أسطوري في السماء.

في جولتي الميدانية الصحفية برفقة زميلاتي وزملائي ومدربنا في القصة الصحافية، "اقتحمنا" مخيم الجلزون للبحث عن مصادر لقصصنا حول صحافة البسطاء.. صادف يومنا الميداني الأربعين على استشهاد عبد القادر ذهبنا إلى بيته وكانت أسرته منهمكة في التحضير للمناسبة الأليمة، صعدنا درجات المدخل عبر رائحة طعام المناسبة، كانت الدموع بانتظارنا عندما صمتت ملامح الوجوه في البيت وقد جمعها اليوم غياب وجه عبد القادر، الذي لون بابتسامته الدائمة وجوه الجميع، هم يستذكرون روحه في تلك اللحظات القاتلة: أربعون يومًا على غيابه وما زال الجرح مفتوحًا.

جلسنا في غرفة استقبال الضيوف، بدت والدته يلف عينيها احمرار كشف عن طول بكاء، كانت ترتدي السواد، لا يكسر عتمته غير بياض وجهها الذي يكتنفه حجاب أخضر تلاقى وخضرة شجرة سرو تصور أمامها عبد القادر، لتحمل الصورة الآن طابعًا آخر غير ما كان يبرق وميضًا في دلالات استشهاده وموقع جناته وقد استقر المشهد كبيرًا في زاوية الغرفة.

أخبرتنا الأم عن لحظة تلقيها الخبر: "رن جرس الهاتف في الثالثة صباحًا، وإذ به صوت خالد ولدي من سجن عوفر، يخبرني باستشهاد أخيه، مصبرًا إياي بكلماته، وأنا ما زلت أقول له، يا ابني يا حبيبي قول وغيّر، لكنه أخبرني دون شك أن عبد القادر ارتقى شهيدًا إلى السماء وكرر ذلك حتى صدقت غيابه". عندما نطقت الكلمة الأخيرة لامست حرارة دموعها وجنتيها، وبدأت كلماتها تهتز أمام صمتنا.

قبل اللحظة التي تأكد فيها الأهل من استشهاد عبد القادر، ظل الشك في موته دافعًا للأمل باستمرار نبضه، واستمر الشك من الساعة الثامنة مساء، لحظة سماعهم بما حدث له أمام مرأى الكثيرين، لكن أحدًا لم يعرف مصيره: "سحبه المستوطنون إلى داخل بيت إيل وأخذوا بصماته، ليبرروا بها قتله، بأنه حاول دخول المستوطنة"، كما أفادت عائلة الشهيد.

هكذا، سافر عبد القادر مع ابتسامته ورضا والديه، مودعًا مكان نومه الذي ما فتئ يذكر والدته به، وعلى وسادته خلف أحلامًا تراوده كما تراود زملاءه في مرحلة الثانوية العامة، أحلام بإكمال الدراسة الجامعية والسعي لانتزاع شهادتها عسى أن توفر فرصة عمل مقبولة ترد للأسرة شيئًا من وفائها.

ياسر عرفات الصغير يستنجد بالكبير

عماد موسى

لم يشفع للطفل ياسر عرفات أن يحمل اسم الزعيم الراحل "ياسر عرفات" في أن تبتسم له الحياة على مستقبل أفضل له ولعائلته المكونه من أب وأم وشقيقين لم يتجاوزا السابعة من العمر.

الطفل ياسر عرفات من خارج مدينة رام الله يعمل عتالاً أو يجر عربة صغيرة في أفضل الأحيان في الحسبة في مدينة رام الله، مقابل بضعة شواقل يجنيها من عرق جبينه ليصرف على عائلته التي أضحى وجود الأب وعدمه سيانًا بالنسبة لها.

وقد جرب العمل في أكثر من مجال إلا أن صغر سنه وحجمه لم يساعداه على الاستمرار في تلك الأشغال، التي تصنف بأنها أشغال شاقة بالنسبة للأطفال كما في عمر عرفات وحجمه.

يتحدث الطفل عن وضعه وعائلته بأسلوب اختلطت فيه براءة الأطفال ووعي الكبار فيقول: "أنا ابن عائلة فقيرة جدًا لا أعلم ما يخبئه لنا القدر والمستقبل الغامض إن فقدت عملي، فستهلك العائلة، شقيقاي جياع إلى أن أعود إليهم ببضعة شواقل أحصل عليها لسد رمقهم.

وهناك أمام ضريح الرئيس الراحل عرفات وقف باسطًا يديه يقرأ الفاتحة على روح الرئيس الراحل في الذكرى الرابعة لرحيله فكان لا بد لهذه الذكرى أن تكون حاضرة في عقل وقلب طفل فلسطيني يقاسي ظروف الحياة ومآسيها.

شعر بالخوف والوجل، تعابير وجهه الطفولية تجهمت، حتى اغرورقت عيناه بالدموع قال: "إذا كان هذا هو مصير زعيم وقائد، فكيف سيكون مصيري وأنا طفل معدم ومن عائلة معدمة.

هذا التساؤل الذي تساءله الطفل أمام ضريح الرئيس عرفات يحمل في طياته قلقًا شديدًا وخوفًا كبيرًا من المستقبل المظلم الذي ينتظر الطفل عرفات وأقرانه ممن ذاقوا مرارة الحياة قبل حلاوتها.

حال الطفل (عرفات) لا يختلف كثيرًا عن أحوال الأطفال في فلسطين الذي حملوا المسؤولية باكرًا لظروف كانت قاهرة. آلاف الأطفال ممن أجبرتهم قسوة الحياة على مغادرة مقاعد الدراسة باكرًا للبحث عن فرصة عمل لمقارعة ظروف ليس لهم ذنب إلى لأنهم ولدوا من عائلات معدمة ومعدمة جدًا.

قصة عرفات الملأى بأحداث دراماتيكية مؤلمة بحق الطفولة مجرد نموذج من نماذج حياة أطفال بؤساء أبت الحياة إلا أن تقسو عليهم. مما قاسوا قهر الحياة وذلها وقسوتها حتى تدرك أن الإنسانية تجردت من كل قيمها لتقسو على براءة لم تذق من الحياة سوى مرارتها.

الطفل ياسر عرفات.

كـهـربـاء

أنس أبو رحمة

اسمعني، افعل ما سأفعل،

في البدء سأطفئ التلفاز، سأتخلى الليلة عن مشاهدة الأخبار، هذا غير مهم، بإمكاني أن أتنبأ بما سيقوله المذيع، سيقول مثلاً: "في غزة دم وقصف وشهداء وجوع وحصار وأشياء أخرى، و"الجنود دخلوا الليلة بلدة ما– الأسماء ليست مهمة، المهم الحدث–"، وفي العراق هناك دم أيضًا، وتفجيرات، أما عن الكونغو وتلك المناطق من أفريقيا فلا بد من حرب عصابات هناك، أجزم ذلك.

وسوف تكون هناك مجاعة أيضًا، وسوف يعرضون صورًا لأشخاص يقدمون الدقيق للأطفال، هذا أكيد، وسيذيعون أخبارًا عن مادونا ومارادونا ومايكل جاكسون وبوش.

ولا تنس أوباما ستكون له حصة الأسد من الأخبار، مثلاً، أنه يسعى لإيقاف الحروب في العالم وسيعمل جاهدًا على إنهاء الأزمة الاقتصادية كما سيحاول بث الطمأنينة على الكرة الأرضية وتقليص وجود الإرهاب، أما عن الكباب فربما يكون هناك خبر عن طفل سرق سندويشة كباب من بترينة مطعم، ربما، من يدري.

اسمع، أنا الآن بلا تلفاز، وبلا نشرة أخبار، سأنزل أمان الكهرباء أيضًا، ما حاجتي للضوء الآن! ما رأيك؟ مساء بلا كهرباء.

ستكون السموم أقل بالتأكيد، وسيكون بإمكانك مشاهدة النجوم وعدها إن شئت.

منذ متى لم تنتبه للنجوم والقمر؟ سأعيد سؤالي بصيغة أخرى: متى كانت آخر مرة نظرت فيها للسماء ليلاً؟ ربما منذ أشهر حينما كنت ترقب خروج قمر شوال.

***

لن تسمع موسيقى الليلة إن كنت تحب فعل ذلك، ولن ترى التلفاز، ولن ترى نفسك لأنه لا ضوء حولك، فأنت فصلت الكهرباء عن بيتك، ألم نتفق على ذلك.

استلق في الخارج، انظر للسماء، استمع للكلاب البرية، اسمع العواء جيدًا، منذ متى لم تسمعه لأنك حبيس الداخل.

لا تفكر، افصل "كهرباءك" الداخلية إن استطعت.

ما فائدة التفكير في هذا الليل؟

إننا بحاجة إلى الهدوء والسكينة وسماع صوت الكلاب، قال لي صديق: "إنني لا أنام في الليل.

آه التفكير يقتلني، إنني لا أنام في الليل، التفكير، اللعنة على التفكير".

وقال وهو يؤشر على رأسه: "لو أنني أمتلك مفتاحًا لقفلته".

وفي الصباح لا تنس أن تشرب القهوة، ولا تنس أن تنسى ما قلته لك في الليل.

هذه المواد أنتجت ضمن دورة (صحافة البسطاء.. من يكتب عنهم ولهم - مركز تطوير الاعلام - جامعة بيرزيت)، حيث انطلقت الدورة من قاعدة الكتابة عن بسطاء الناس.

صراع حول الكعكة

نافذ أبو حسان

مما لا شك فيه أن الشعب الفلسطيني بات في وضع لا يحسد عليه وهو يئن تحت الضربات الموجعة التي يتلقاها يوميًا في ظل الانقسام وحالة التشظي والقطيعة بين جناحي الوطن فيما فصائل العمل الوطني كل يغني على ليلاه، وفصائل العمل الإسلامي تغرد خارج السرب، وكل منها شاهد زور على عملية تدمير المشروع الوطني الفلسطيني وتفتيته فيما الشعب الفلسطيني لا حول له ولا قوة وقع ضحية الحسابات الحزبية في الضفة وغزة، في وقت يرجع فيه مسؤولون حالة التأزم والاستقصاء التي تعصف بالشعب الفلسطيني إلى دولة الاحتلال والمخططات التوسعية الإسرائيلية، إضافة إلى ارتباط الحوار الوطني مع قوى دولية وإقليمية متنفذة في الشرق الأوسط، وحول المشهد الفلسطيني في ظل المعطيات الراهنة لم يحقق الفلسطينيون منذ قدوم السلطة الفلسطينية إلى الأراضي المحتلة أي انجاز سياسي في إطار المشروع الوطني جراء المتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية ومماطلة الإسرائيليين في تنفيذ استحقاقات أوسلو إضافة إلى العدوان المتواصل وما خلفه انقلاب حماس في غزة من جرح دام في الجسد الفلسطيني ما أطاح بمقومات الصمود أمام الإسرائيليين بل والتراجع إلى ما قبل المربع الأول من مرحلة النضال.

الرئيس محمود عباس يبذل جهدًا في لملمة أشلاء الوطن عبر الدعوة إلى الحوار بين المنظمة وحماس التي أدارت ظهرها للسلطة وأحجمت عن التوجه إلى القاهرة في الموعد المحدد للقائه وأصبحت المعطل الأول للمصالحة الفلسطينية التي من أجلها اجتمع وزراء الخارجية العرب قبل أيام في القاهرة، ومهما كانت نتائج الاجتماع فإن جامعة الدول العربية لا تستطيع إرغام حماس أو جرها إلى الطاولة بعيدًا عن أجندة قيادة الحركة وذلك لاعتبارات تدركها الأنظمة العربية جيدًا.

فمنذ أوسلو لم نلمس أي تطور نوعي يخدم مسألة إقامة دولة فلسطينية في الضفة وغزة فاللاعبون الأساسيون في المنطقة يدركون جيدًا مستقبل القضية الفلسطينية وهم غير معنيين بممارسة ضغوط حقيقة على قيادة حماس للتراجع عن أجندتها في غزة بل ويوفرون لها هامشًا كبيرًا على المستوى الإقليمي والعالمي وبما يخدم مصالحهم في المنطقة ولعل "الأخطر" يكمن في الخشية من تنفيذ مخطط قامت إسرائيل برسم السيناريو الخاص به قبل عشرين عامًا وتم طرحه في محادثات أوسلو (لإقامة دولة فلسطينية في قطاع غزة إضافة إلى حكم محدود على جزء من الضفة).

اليوم يشكل موضوع الرئاسة فلسطينيًا مسألة حساسة على الرغم من الشرعية التي يكتسبها أبو مازن من المجلسين الوطني والمركزي (حيث المجلس التشريعي لا يزال معطلاً)، نجد قيادة حماس بدأت بإعلان العد التنازلي عبر فضائية الأقصى للمدة القانونية المتبقية لأبو مازن كرئيس للسلطة الفلسطينية وشرعت في مراسم استباقية لتنصيب رئيس جديد على غزة فيما الأنظار تتجه نحو معاناة الشعب في القطاع وهو الخاسر الذي لم يؤثر على حماس كحركة وقيادة مهيمنة بالقوة على جزء من الوطن.

"حلاءاتك بودناتك" في مصر وبدنا نحكي بدنا نقول بدنا نصلي ع الرسول في غزة

والمولود يستمتع بحمام أسبوع من التراث الفلسطيني

حنان أبو دغيم

بحثت طويلاً حتى وجدت مولودًا سيحظى بحمام أسبوع على طراز التراث الفلسطيني فلم أتوان في حضور الحفل الذي أقيم في منزل جد المولود وكغيري من أفراد العائلة والأصدقاء الذين تلقوا دعوة لحضور الأسبوع ذهبت فيما يقارب الساعة الرابعة عصرًا حيث وجدت طقوسًا دأبت جدة المولود على الإعداد لها مع قدوم كل حفيد للعائلة.

القعدة

بينما كانت الحاجة أم عواد "٦٧ عامًا" تنتظر من زوجة ابنها إحضار المولود جلست إلى جوارها أسألها عن بعض الأشياء التي جهزت في المكان حيث تجلس فقالت: "هذا المكان الذي أجلس فيه نسميه القعدة وكما تشاهدين زيناه من الصباح بأعواد الريحان والنعناع وشجر السدر وأنواع أخرى من أوراق الشجر المختلفة".

وأشارت بيدها لمصحف صغير وأضافت: "وهذا مصحف نضعه لحماية المولود وتحويطه إضافة إلى براويز القرآن المعلقة على الحائط حتى نمنع العين عن المولود".

ثم قامت من مكانها وخطت خطوتين حتى وصلت لطاولة صغيرة وبدأت تصف ما وضعه والد المولود من استخدامات فقالت: "ابني الله يرضى عليه من الصبح نزل على سوق الزاوية بغزة واشترى ماء الورد وسكر النبات وأعشابًا للشرب واشترى من الصيدلية مستخدمات الحمام من صابون وشامبو واسفنجة لتنظيف جسم المولود وكولونيا..".

الحمام

جاءت أم خالد "٢٥ عامًا" بمولودها الأول خالد ووضعته في حضن جدته وجلست إلى جوارها وهي ترتدي عباءة فلسطينية أقرب للثوب التراثي، "يا صلاة النبي.. صلوا على النبي.. أجانا الزين ومعاه الخير.." هكذا كانت أم عواد تغني لحفيدها التاسع من أبنائها الذكور.

التف الجميع حول الجدة التي بدأت بحمام الطفل حيث بدأت بسكب الماء في وعاء بلاستيكي يتناسب وحجم المولود ثم وضع قليلاً من الكولونيا وأوراق الشجر المختلفة حيث حملت المولود في حضنها ووضعت رأسه باتجاه الوعاء وبدأت بسكب الماء على رأسه وغسل شعره بشامبو مخصص للأطفال ثم نظفت جسمه بقطعة إسفنجية وصابون وأخذت أوراق الشجر وبدأت بتليين جسمه الغض بها برفق حتى قالت: "الآن جاء دور الخرزات الزرقاء".

وأخرجت من جيبها مجموعة من الخرزات زرقاء اللون من بينها كف أزرق وعين زرقاء ورمتها في الماء وبدأت مرة أخرى تمررها على جسم المولود بالماء وهي تقرأ آيات قرآنية كما تصفها "لتحويط المولود ورد العين عنه".

كان الجميع ينظر إليها الصغار فرحين والكبار متلهفين لهذا الحمام التراثي الذي تمنوا لو يحظى به مواليدهم جميعًا.

وبينما انتهت الجدة من الحمام كان أبو خالد يعد قطعة من القطن والقماش حيث باشرت الجدة بدهن صرة المولود بزيت الزيتون ثم وضعت قطعة معدنية عبارة عن نصف شيقل ومن فوقها قطعة من القطن وشاش معقم ولصقتها بشكل يمنع انزلاق نصف الشيقل وكانت تشرح الهدف فقالت: "لازم صرة الصغير تنمسك وتتثبت علشان محل الحبل السري يلتئم".

ثم باشرت بدهن جسم المولود بقليل من زيت الزيتون الذي دهنت به أيضًا شعر رأسه بشكل كثيف والسبب في ذلك كما تقول: "حتى تنزل القشرة من فروة رأسه ويتغذى منبت الشعر".

عندما انتهت الجدة أم عواد من حمام الطفل قالت: "أيام زمان كنا بعد الحمام مباشرة ييجي المطاهر يطهر الولد بس اليوم صاروا يطهروا عند الدكتور وابني أصر يطهر المولود في المستشفى من حد ما ولدت مرته".

الحفلة

وبينما كانت أم خالد تحضر المشاريب وتحضر الحلوى والتسالي على طاولة خشبية عريضة وضعت في منتصف الغرفة، كانت أم عواد تغني للمولود: "بدنا نحكي بدنا نقول بدنا نصلي ع الرسول الله يحفظ لأمه وأبوه بندعيله عرضين وطول" وتزيد في الغناء: "قالوا عن أمه عقيمة ما بيحيا إلها مولود قلت صلوا ع النبي وشوفوا هالعيون السود".

وعلى جانب آخر بدأت موسيقى جديدة وأغان حديثة للأطفال تصدح ليرقص عليها الأطفال بينما توزع أم خالد على الحضور كبارًا وصغارًا أطباق الكيك والحلوى والمشروبات الباردة إضافة إلى صرة بيضاء اللون قالت أم خالد عنها: "هذه موضة جديدة، بعض الناس تعملها بنجيب قماش دانتيل أبيض وبنضع فيه شوكولاتة وملبس وبنربط الصرة وبنعلق عليها كارت باسم المولود وتاريخ ميلاده".

قاطعتها عمتها الحاجة فاطمة "٦٣ عامًا" لتقول: "والله على زمنا ما كانت هالشغلات موجودة كنا نعمل الأسبوع زي ما إنتي شايفة ونفرح وننبسط ونطهر المولود وكل شيء من خير الدار ما نتكلف كل هالمخاسر".

وتضيف: "طبعًا اللي ربنا عاطيه كان يذبح في الأسبوع "العقيقة" ذبيحة للبنت وذبيحتين للولد ويأكلوا الحاضرين والغايبين تصلهم حصتهم لباب الدار أما اليوم مع هالظروف والوضع صارت الناس تأجل العقيقة لما ربنا يفرجها".

في هذه الأثناء كانت النساء تقدم الهدايا والنقوط للمولود كل حسب مقدرتها وصلتها بالعائلة إلى أن جاءت أم عواد تحمل حفيدها ثم سألتني: "عمرك حضرتي أسبوع بهذا الشكل؟ بطلت الناس تهتم بالتراث مع إنه كله فايدة وخير للمولود وأهله وفيه جمعة حلوة للصحاب والحبايب والأقارب".

وأضافت: "كل أولادي ومن بعدهم أحفادي عملتلهم أسبوع بنفس الطريقة طبعا أنا تعلمت من أمي الله يرحمها وإن شاء الله لو انكتبلي عمر أعمل للي جايين أسبوع من عاداتنا القديمة الحلوة، ما راح أقصر".

جودو.. تايكواندو وكراتيه..

الغزيات يضحكن من فتوى تمنحهن حق الدفاع وضرب أزواجهن

خاص «بالحال»

لم يقف التأثير التركي المحلي على المجتمع الغزي عند المسلسلات التركية التي خلبت أنظار النساء والرجال على حد سواء، بل تعدى هذا الأثر إلى الحياة الخاصة بين الأزواج حتى بلغت منتهاها وأمرت الزوجات بضرب أزواجهن دفاعًا عن أنفسهن لرد العدوان الممارس عليهن ممن "لهم عليهن درجة".

منذ الآن فصاعدًا عليك أن تغادري مربع البكاء والنواح وتستعدي للدفاع عن نفسك، أنت اليوم مدعومة بفتوى دينية وقرار ديني بحت، فلم يعد مقبولاً بقاؤك كضحية إلى حين تنفشين شعرك على خدودك وتبدئين بلطم الوجنتين احتجاجًا على ما تتلقينه من صفعات.

نساء في غزة ضحكن حتى بانت أشداقهن من هذه الفتوى، وقالت إحدى الفتيات المقبلة على الزواج من شاب في لندن العاصمة البريطانية: "لماذا أقوم بضربه، لا، أنا أريده رجلاً حتى لو ضربني".

أما سيدة من القطاع حيث ضاقت الأحوال الاقتصادية وجعلت الرجال دائمي المكوث بالمنزل فقالت: "إنه دائم التفشش بي وبأطفاله ليته يعود يومًا للعمل ولكن لا يمكنني ضربه ردًا على ضربي كثيرًا ما أصمت ولا يمكن لهذه الفتوى أن تجد طريقها خاصة في فلسطين وقطاع غزة".

أصل الفتوى

فقد أجازت فتوى تركية للمرأة أن تضرب زوجها، شريطة أن يعتدي عليها بغير حق، وذلك من منطلق «الدفاع عن نفسها»، وهو ما ذكر بأنه يدخل في حكم "دفع الصائل".

وأيد الشيخ عبد المحسن العبيكان، والذي يعمل مستشارًا قضائيًا في وزارة العدل السعودية، ما ذهبت إليه مجموعة من علماء العالم الإسلامي، في تركيا ومصر بقوله: "هذه المسألة معروفة لدى كثير من الفقهاء، ولها أصل في الشريعة الإسلامية، مما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم". واستدل العبيكان، وهو عضو في مجلس الشورى السعودي، بقول الله سبحانه وتعالى: «وجزاء سيئة، سيئةٌ مثلها»، وقوله جل وعلا «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم». وحصر العبيكان، ضرب الزوجة لزوجها، في حال الاعتداء عليها.

وأفتى عالم الدين التركي، فتح الله كولن، بأحقية المرأة في الدفاع عن نفسها أمام عنف زوجها بأن ترد له الضرب بضرب، وأن تتعلم فنون الدفاع عن النفس مثل الكراتيه والجودو والتايكواندو إذا لم تجد أمامها بدًا من استمرار العيش معه. وأثارت هذه الفتوى جدلاً في أوساط المحافظين في تركيا، الأمر الذي قد "يشعل تمردًا" في أوساط العائلات.

ودخل الأزهر على الخط ونفى دعمه لمثل هذه الفتوى، حيث نفى الشيخ علي عبد الباقي أمين عام مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف ما نسب للأزهر من إباحته للفتوى السعودية.التركية التي تبيح للزوجة ضرب زوجها دفاعًا عن النفس.

وقال الشيخ علي عبد الباقي: "إن الدفاع عن النفس مطلوب في كل الأمور ومكفول لكل إنسان إلا ما يتعلق بالحقوق والواجبات وهناك حقوق للزوج وواجبات عليه وقد أمر الله سبحانه وتعالى بضرب الزوجات تأديبًا لهن لأنهن خلقن من ضلع أعوج. وأباح الشرع للزوج بنص القرآن الضرب ولم يبح للزوجة أن ترد أو تضرب زوجها أو أن تؤدبه".

رأي العلماء بضرب النساء للرجال

في فلسطين حيث تستضيف إذاعة القدس مفتيًا بالجامعة الإسلامية وهو د. ماهر السوسي، قال: "إن هذه الفتوى لم تمر عليه وطلب تزويده بالمكان الذي يطلعه عليها وقد ضحك كثيرًا لمجرد إخباره بها".

أما الكاتب الاسلامي محمد ربيع فاعتبر أن ضرب الزوجات للأزواج يأتي في إطار العنف العكسي وهو غير مرغوب نظرًا للجهود المبذولة إسلاميًا ودوليًا للتخلص من العنف الموجه من الرجال لزوجاتهم النساء.

د.محمد المهدي استشاري الطب النفسي قال: "كنا وما زلنا نحاول تلافي ضرب الأزواج لزوجاتهم وتخفيض وتيرة العنف الأسرى على وجه العموم أملاً في تخفيف حدة التوتر الاجتماعي وصولاً إلى عالم أكثر سلامًا وأمانًا. ولكننا فوجئنا بمتغير جديد يظهر على السطح من خلال إحصاءات تتجمع من هنا وهناك تعكس صرخات أزواج يضربون زوجاتهم بما ينذر بتحول "سى السيد" إلى "سى سوسو".

إحصاءات نادرة

وتشير الإحصاءات العالمية عن ظاهرة ضرب الأزواج إلى أن نسبة الأزواج "المضروبين" في الهند بلغت ١١٪، وفي بريطانيا ١٧٪، وفي أميركا ٢٣٪، وفي العالم العربى تراوحت النسبة بين ٢٣٪ و٢٨٪، وتبين أن النسب الأعلى تكون في الأحياء الراقية والطبقات الاجتماعية الأعلى أما فى الأحياء الشعبية فالنسبة تصل إلى ١٨٪ فقط.

وهذا الفرق بين الطبقات يمكن أن يكون فرقًا حقيقيًا بمعنى أن المرأة في الطبقات الاجتماعية الأعلى استفادت أكثر من جهود تحرير المرأة وتمكينها فعلا صوتها وسوطها أكثر من المرأة في الأحياء الشعبية والتي لم تصلها تلك الجهود وما زالت تنظر لزوجها باحترام أكثر.

والصورة النمطية للمرأة أنها كائن رقيق وأنها الأضعف فى علاقتها بالرجل الذى يتفوق عليها على الأقل ماليًا وجسديًا في أغلب الأحيان (وليس كلها) وهذه الصورة ربما تجعل تصور امرأة تضرب زوجها أمرًا مستبعدًا أو على الأقل مستهجنًا أو طريفًا.

وفي الواقع حين تتعرض المرأة لحالة من القهر والاستبداد والإهانة والقسوة لمدة طويلة فإن طاقة عدوانية غير متوقعة تتفجر بداخلها وهذه الطاقة لا تمكنها فقط من الضرب ولكن أحيانًا تمكنها من القتل بأبشع الوسائل (تقطيع الزوج وتعبئته فى أكياس) كما حدث في الإسكندرية حيث عرف حينها بالمرأة والساطور.

لنقص المعلومات عن غزة

"المخابرات الإسرائيلية" تتصل على هواتف المواطنين وتعرض "المساعدة"

خاص «بالحال»

عندما رن الهاتف في منزل الدكتور فايز أبو شمالة رئيس بلدية خان يونس الأسبق، عرف المتصل نفسه بـ "أبوعلي" ولم يخطر ببال زوجة "أبو شمالة" حينئذ أن المتحدث هو الكابتن روني من "مخابرات الاحتلال"، وعندما تحادث "أبو شمالة" مع "روني" قال الأخير: "لقد قطعت حكومة رام الله راتبك وحماس سلبت منك رئاسة البلدية، وبما أنك رجل لك وضعك في المجتمع، فإننا نريد أن نساعدك –دون تحديد طريقة المساعدة–، وأضاف أبو شمالة: "فهمت أنهم يريدون ربطي معهم مقابل المال، وقد طلب مني روني أن أحضر شريحة أورانج حتى يتم الاتصال بي وأن أتكتم على الأمر وألا أخبر أحدًا، مؤكدًا أن الاتصال قد تكرر عدة مرات، ولكن الجديد هنا هو الاتصال على المواطنين مباشرة.

وأرجع أبو شمالة هذه الحملة المكثفة من الاتصالات التي تقوم بها مخابرات الاحتلال إلى أن غزة أصبحت دائرة سوداء وستبقى مغلقة بالنسبة لهم، لأنهم يستميتون لمعرفة ما يجري هنا، فإسرائيل انتصرت في حروبها السابقة من خلال المعلومة، وهم يتصلون بالجميع من كل الفئات والأعمار، ولذلك يوهمون الشباب حديثي التجربة بأنهم يعرفون كل شيء. ورأى أبو شمالة الذي يحمل درجة الدكتوراة في الأدب العبري أن الإسرائيليين سيستمرون في ذلك وهم يعتقدون أنهم إذا نجحوا في تجنيد أحد ما، فهذا مكسب، وإذا فشلوا لن يخسروا شيئًا، ويضيف: "لكنهم أزعجوا المجتمع الغزي بهذه الحملة من خلال إثارة الأسئلة والنقاش حول هذه الاتصالات". وحسب أبو شمالة فإن "الشين بيت" يريد أن يستغل حالة

الانقسام ويراهن على أنه من الممكن لأبناء طرف سياسي فلسطيني "التعاون" معهم بسبب خلافهم مع طرف فلسطيني آخر.

سرايا القدس: لا يجب أن تشغلنا حالة الانقسام عن متابعة هذا الملف الشائك

وفي حديثه إلينا أكد أبو إسلام من الجهاز الأمني التابع لسرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين أن الاتصالات المباشرة تستهدف في الغالب عاطلين عن العمل، والجيل الصغير حتى أنها تستهدف مقاومين تحثهم على ترك المقاومة. وأضاف: "من خلال التحري، تبين أن المخابرات تستغل حاجة الناس بسبب تفشي البطالة، وقطع رواتب الموظفين وتقوم بالاتصال بهم. وعن سبب تكثيف هذه الحملة رأى أبو إسلام أن المؤسسة الأمنية لديها نقص كبير في المعلومات عن غزة وقد لاحظنا أن هناك مبالغ مالية ضخمة يتم وضعها للعملاء في أماكن ميتة. وأوضح أن هناك تعاونًا مع الأجهزة الأمنية في حكومة حماس، وقد تم تسليمها عدد من العملاء ولكن بصراحة لا يوجد جهد كاف في متابعة هذا الملف، ولذلك لا يجب أن تشغلنا حالة الانقسام والتجاذب عن متابعة هذا الملف الشائك الذي يمس "العصب الفلسطيني".

الشرطة المقالة: نطالب المواطنين بالإبلاغ فورًا عن أي اتصال مخابراتي

وعن تعاطي شرطة حكومة غزة مع هذه المسألة أكد الرائد إسلام شهوان الناطق باسم شرطة الحكومة المقالة وجود معلومات عن هذه الاتصالات، حيث يطلب ضباط مخابرات الاحتلال معلومات عن وجود الجندي الأسير غلعاد شاليط، موضحًا أن هناك العديد من المواطنين قد تقدموا بشكاوى للشرطة حول هذه الاتصالات، وبناء على ذلك وجه وزير الداخلية في غزة سعيد صيام تعليماته لأجهزة الأمن لمتابعة هذا الملف. وردًا على سؤال حول من يقول إن هذا الجهد "غير كاف"، أجاب: "حتى وإن كان جهدنا غير كاف، فيجب التحرك فورًا لمعالجة هذا الأمر.

مركز الميزان: ملف الاحتلال "طفح" من تراكم جرائم الحرب

وحول رأي القانون الدولي مما يجري أوضح المحامي عصام يونس مدير مركز الميزان لحقوق الإنسان في غزة أن هذا "انتهاك صارخ" لخصوصية الأفراد وأمنهم الشخصي، وأن القانون الدولي أوجب حماية الأفراد. ورأى يونس أن هذه الاتصالات جزء من معركة تمارسها قوة احتلال لتشويش حياتنا. مشيرًا بهذا الخصوص إلى تلقي مركزه العديد من الشكاوى التي يتقدم بها الجمهور تتعلق بممارسة مخابرات الاحتلال ضغوطًا عليهم وابتزازهم واستغلال حاجتهم للسفر والعلاج لربطهم "كمخبرين"، ولكن يونس رأى أن المواطنين في الغالب لا يتوجهون لجهات الاختصاص الرسمية، ولهذا ينصح يونس كل من يتعرض لهذا الابتزاز بالتوجه إلى المراكز الحقوقية وللجهات الرسمية لمتابعة الملف حتى نتمكن من إثارته أمام المحاكم الدولية.

اللواء صقر: أجهزتنا الأمنية عملت في كل شيء إلا الأمن

وعقب اللواء مصباح صقر أول مدير لجهاز الأمن الوقائي في الضفة وغزة في عهد السلطة الوطنية أن ظاهرة إسقاط العملاء ليست جديدة، وأنها تأتي في سياق حملات إسرائيلية متواصلة تهدف إلى "كي الوعي الفلسطيني"، وهي تتزامن أولاً، مع تشديد الحصار على غزة، وثانيًا في ظل تصاعد حدة الانقسام الفلسطيني، وهذه بالنسبة للاحتلال "الظروف المواتية تمامًا" لاختراق المجتمع الفلسطيني.

ورأى صقر أن واقع التجربة أثبت أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية عملت في كل شيء إلا الأمن، فهي لم تنتج أمنًا إطلاقًا ما أدى إلى التسيب والانفلات على النحو الذي يعرفه الجميع، وتساءل كم شخصًا جندت أجهزتنا الأمنية من أعدائنا مقارنة بما نجح الاحتلال بتجنيدهم من أبناء شعبنا، وشدد على أن هذا معيار قياس نجاح الأجهزة الأمنية. وأنهى اللواء صقر حديثه بضرورة التركيز على عملية تحصين المواطن وتوعيته حتى يتمكن من كشف أساليب المخابرات الإسرائيلية التي تدس السم في العسل، خاصة أولئك الذين يتواجدون في الخارج حيث يتم اصطيادهم بسهولة. كما أكد على أهمية المساءلة والعقاب لكل من يتورط مع هذه المخابرات حتى يتحقق "الردع" مستشهدًا بقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون).

الشرعية الثورية والشرعية الدستورية

هاني المصري

منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، كانت شرعية الثورة والمنظمة شرعية وطنية ثورية مستمدة من المقاومة للاحتلال ومن التضحيات الغالية التي قدمت في سبيل تحقيق الأهداف والحقوق الفلسطينية. ولم يكن هناك أحد ينازع هذه الشرعية أبدًا.

بعد إجراء الانتخابات الرئاسية والتشريعية عام ١٩٩٦ أصبحت لدينا شرعية دستورية قانونية مستمدة من صناديق الاقتراع، رغم أن الانتخابات جرت تحت الاحتلال وفي ظل قيود ومحددات اتفاق أوسلو.

منذ ١٩٩٦ وحتى ٢٠٠٦ كان هناك نوع من الازدواجية بين الشرعيتين: شرعية الثورة وشرعية صناديق الاقتراع. الآن وبعد مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية ٢٠٠٦، وفي ظل الانقسام الفلسطيني السياسي الجغرافي الذي يسير حثيثًا نحو انفصال دائم بين الضفة وغزة يأخذ في طريقه الشرعية الفلسطينية، لم نعد نعرف أية شرعية هي التي سنأخذ بها. فنتائج الانتخابات الأخيرة لم يتم الاعتراف بها إسرائيليًا ودوليًا، ما وضع أكثر من علامة سؤال على الشرعية الناتجة عن انتخابات تحت حراب الاحتلال.

ويضع مليون علامة سؤال حول كيفية التعامل مع نتائج الانتخابات القادمة إذا جرت. فالمطلوب إسرائيليًا أن تحمل الانتخابات الفلسطينية نتائج ترضى عنها إسرائيل، هذا إذا سمحت بإجراء الانتخابات أصلاً.

ففي ظل الانقسام لا يمكن الاحتكام إلى صناديق الاقتراع وتعزيز الشرعية الدستورية، لأن الإقدام على انتخابات دون وفاق وطني من شأنه تكريس الانقسام وتحويله إلى انفصال دائم.

وفي ظل الانقسام لا يمكن إحياء الشرعية الثورية، شرعية المقاومة ما دام السلام هو خيارنا الاستراتيجي الوحيد، وما دامت كل الفصائل مجمعة على التهدئة، وعلى تمديد التهدئة. كما أن المقاومة كانت أولى ضحايا الانقسام، وستبقى ضحية ما دام الانقسام قائمًا.

تأسيسًا على ما تقدم، لا ينفع النفخ في البعد القانوني والدستوري، عند تفسير الانقسام الفلسطيني الراهن أو الدفاع عن وجهة نظر هذا الفريق أو ذاك.

إن السلطة انتفى مبرر وجودها عندما انتهت الفترة الانتقالية ولم تولد الدولة الفلسطينية بحيث أصبحت السلطة بعد ذلك، وكأنها غاية بحد ذاتها.

ومنظمة التحرير التي أخذت شرعيتها من الكفاح ضد الاحتلال ومن إبقاء القضية حية، أصبحت شرعيتها ضعيفة وناقصة، ومطعونًا بها من قطاعات سياسية وشعبية واسعة، بعد أن تخلت عن المقاومة قبل تحقيق الأهداف الوطنية وبعد أن غابت وغيبت منذ اتفاق أوسلو، وأصبحت ملحقة بالسلطة بدلاً من أن تكون السلطة أحدى أدواتها لتحقيق البرنامج الوطني. كما تعاني المنظمة من الشلل في ظل عدم التجديد والإصلاح والتفعيل، حيث اغتيل رئيسها والقائد الفلسطيني التاريخي ياسر عرفات وعدد من أعضاء لجنتها التنفيذية، وجرت تطورات عاصفة ولم يتم عقد المجلس الوطني منذ أكثر من ١٠ سنوات.

وحماس آخر من يحق لها أيضًا أن تتحدث عن القانون، لأنها لم تلتزم بالقانون الأساسي الذي خاضت الانتخابات على أساسه، ولم تستجب لمرسوم الرئيس بإقالة الحكومة رغم أن أطرافًا منها قاموا بالانقلاب أو بالحسم العسكري أو لنسمه ما نشاء، ولكنه عمل قام به جزء من السلطة أدى لسيطرته الانفرادية عليها في قطاع غزة وإقصاء الأطراف الأخرى عنها بالقوة.

إذًا المسألة ليست قانونية أساسًا وإنما سياسية، هذا مع أهمية عدم هدم ما لدينا قبل أن نحصل على بديل له. أي عدم هدم شرعية المنظمة، أو شرعية السلطة أو كلاهما دون قيام شرعية أخرى. وواهم من يعتقد أن انهيار شرعية المنظمة التي قامت بعد عشرات السنين من الكفاح، في ظل الانقسام الحالي سيفتح الطريق لنشوء شرعية فلسطينية أخرى، بل ستذهب الشرعية الفلسطينية وتأخذ معها الكيان الوطني والدور الخاص للفلسطينيين ويحل محل ذلك كل أنواع الأدوار والتدخلات والخيارات الأخرى الإسرائيلية والعربية والإقليمية والدولية.

إن شرعية المنظمة ستبقى هي الأساس والأقوى ويمكن البناء عليها، وهي يجب أن تضم في إطارها كل مكونات الحركة السياسية الفلسطينية حتى تبقى وتكون فعلاً المرجعية العليا، والممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، شرط أن تعود المنظمة إلى شرعية مقاومة الاحتلال (مقاومة رشيدة) خصوصًا في ظل عقم المفاوضات واستطالة أمدها والمرحلة الانتقالية الى إشعار آخر بعد أن كان من المفترض أن تنتهي عام ١٩٩٩ بقيام دولة فلسطينية حرة ومستقلة وعاصمتها القدس وذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧.

خمس مهن ورجل واحد

باسم صافي.. كهربائي سيارات ومدرب خيول وحداد عربي وميكانيكي دراجات نارية وصّياد

عبد الباسط خلف

تبدو علامات السعادة واضحة على وجه باسم صافي، مواليد عام ١٩٥٢ في مدينة جنين؛ فهو يجمع بين خمس مهن في وقت واحد.

تعلم صافي من والده مهنة الحدادة العربية، التي تعتمد على بيت النار وبعض الأدوات القديمة، يوم كان طفلاً. يروي: "تعلمت إلى الصف السادس الابتدائي، وبعد عام ١٩٦٧، صرت أساعد والدي، فكنت أصنع من الحديد كل ما يخطر بالبال". انتقل صافي بعد فترة وجيزة لمهنة أخرى أتقنها بنفسه، إذ تحول إلى واحد من أقدم فنيي كهرباء السيارات في جنين، فشرع منذ عام ١٩٧٢ في تأسيس كراج للسيارات، وبقي صامدًا في هذه المهنة إلى اليوم.

فنون

يقول: "بدأت في سن مبكرة من طفولتي بتعلم مهنة صيانة الدراجات النارية بمفردي، وصرت أتقن أصول العمل، كما أجيد قيادة مختلف أنواع الدراجات، وتعلمت الصنعة بمفردي، وصرت أمارس رياضات مختلفة باستخدامها.

قبل سن العشرين، شهدت حياة صافي نقطة تحول، إذ أعاد "الروح" إلى هوايته في تربية الخيول العربية وتدريبها، وهي الحرفة التي أحبها والده. يقول: "كان والدي يربي الخيول ومعظم الحيوانات، حتى أنه أحضر غزلانًا من العراق، وكان منزلنا حديقة حيوانات، فتأثرت بهواية والدي، وبدأت في سن مبكرة بتربية الخيول وتحسين سلالاتها، منذ أكثر من عشرين عامًا.

أسس صافي أكاديمية للفروسية عام ١٩٩٨، وسبق أن حافظ على سلالات الخيول، وأتقن فنون تدريبها وتربيتها، فأصبح يجيد التعاطي مع غذائها وأمراضها وطرق حذوها التي انقرضت هذه الأيام، ونقل إلى أولاده وأحفاده حب الفروسية، ونظم بطولات وسباقات خيول، وحرص على المشاركة في منافسات عديدة، وحصدت خيوله مراكز متقدمة، وخرّج العديد من الخيّالة.

يقول وهو يعيد إصلاح جهاز تشغيل محرك السيارة الكهربائي: "يستغرب الناس من علاقاتي مع الخيول والسيارات والدراجات النارية والحدادة، لكن لكل شيء وقته.

يطلق الحاج صافي اسم "كريمة" على فرسه المدللة، فيما يختار اسم "العسيلة" على فرس ثانية، ويسمي المهر الذي لم يتجاوز السبعة أشهر باسم "رعد".

والحديث موصول لصافي: "كان عندي أكثر من ١٢ رأس خيل عربية أصيلة، حافظنا على سلالاتها، لكن الظروف الاقتصادية أجبرتنا على تقليص عددها إلى ثلاثة، فكل فرس تحتاج إلى أكثر من ألف شيقل في الشهر الواحد، بين غذاء ودواء ولوازم.

خيول وعسل وتمر

يدلل صافي خيوله، فيطعمها العسل والتمر والكعك، كما يحرص على المشاركة في منافسات محلية، ويحصد في كل مرة المراكز المتقدمة، حتى أن "كريمة" فازت في أحد عشر سباقًا متتاليًا.

تتنافس في كراج فوزي عشرات الملصقات والأخبار والصور ذات الصلة بالخيول، ويثبت عبارات تمجد الخيل وتثني عليها، أما في إسطبله فلا يتحدث إلا عن الخيول، وينسى المهن الأخرى التي يعمل بها.

يقول: "للخيال شروط كثيرة، وعليه أن يكون في وزن مثالي، لا يزيد عن الستين كيلو غرامًا، كما أن لكل نوع من الأغراض خيولها الخاصة، فلسباقات الحواجز أنواع خاصة، وللاستخدامات الزراعية أو جر العربات أو سباقات الجري ما يناسبها.

نقل صافي إلى أخوته وأحفاده وأولاده أسرار الخيول وحبها، فشقيقه أبو النور مدرب مميز للخيالة، وحفيده حمادة (١٨ عامًا) حصد الكثير من الجوائز، وصار يحذو الخيول (يلبس حافرها قطعة من المعدن)، أما بهاء الدين وعوض وثائر فهم خيالة صغار، ويخرّج كل عام نحو مئة شاب بفنون الفروسية المختلفة.

تقطع "كريمة" الكيلو متر الواحد بدقيقة و١٣ ثانية، أما "العسلية" فتجتاز المسافة نفسها بدقيقة وسبع ثوان.

توريث

يدرب الحاج صافي حفيدتيه ملك (٩ أعوام) وسارة(٨ أعوام) على عروض الخيالة، كما أنه درب شبانًا على استخدام الخيل لأغراض شُرطية.

يقول: "أدخلت علم فلسطين لبيوت الكثير من الإسرائيليين، فقبل الانتفاضة كنا ننظم مسابقات في مرج ابن عامر، واشترك بها خيالة من فلسطين المحتلة عام ٤٨ من الفلسطينيين واليهود، وكنت أقدم دروعًا للفائزين مرسومًا على قاعدتها العلم الفلسطيني.

يتابع: "أحب والدي الخيل، ونقل لنا مهمة الاحتفاظ بها، مثلما علمنا الصيد من دون استخدام الأسلحة النارية، إذ نصطاد بأدوات بسيطة.

يحتفظ صافي إلى اليوم بعدة جده عيسى، الحداد الذي قدم من يافا قبل أكثر من مئة عام، "ولدي مقدح "مثقاب" يدوي نادر، وأدوات عمل قديمة أصنع بها اليوم أدوات للخيول وغيرها".

باسم صافي.

ازدحام شديد أمام "البوابرجي"

"بابور" زمان يستعيد حيويته ويتزعم الساحة

محمد البابا

في سوق الزاوية بمحافظة غزة، يجلس على منصّة عالية رجل يرتدي لباسًا شعبيًا خاصًا، تفوح منه رائحة الكيروسين، يصطف أمامه العشرات من النساء والأطفال، ينتظرون تصليح "بابور" ولمبات الكاز، بعد أن أختفى خلال الأعوام الماضية "البوابرجي" عن التجوّل في الشوارع والحارات والمناداة بصوت موسيقي خاص "إللي عنده بوابير كاز، قناديل، لمبات.. للتصليح".

قطع التيار الكهربائي أعاد للبوبرجي صنعته، وخلق أمام دكانه الصغير، أو طاولته المتنقلة ازدحامًا شديدًا، بعد أن فرغت البيوت من الغاز البيتي والكهرباء، ولم يعد أمامهم سوى إشعال المواقد، والبوابير والقناديل التي تعمل بالكاز الأبيض.

البابور يتزعم الفضائيات

أبو محمد المعصوابي مصلح البوابير واللمبات، ابتسم كثيرًا وهو يستقبلنا وقال ضاحكًا: "يبدو أن الزمن عاد بنا لكي تأخذ الحرف القديمة دورها وأهميتها وتصبح ذات اهتمام خاص.

وحول طبيعة مهنته قال الرجل البسيط: "بعد أن انتشرت الكهرباء والغاز في البيوت، والمصابيح الحديثة، اندثرت هذه الحرفة النادرة وتوقف الناس عن استخدام البابور منذ سنوات طويلة، ولكن مشكلة الانقطاع المتكرر للتيار الكهربائي، ونفاد غاز الطهي، دفع أعدادًا كبيرة من المواطنين إلى التزاحم أمام ورش تصليح "بوابير الكاز"، التي هجرها أصحابها منذ سنوات، وأغلقت أغلبيتها.

وأوضح أن السكان يتهافتون الآن لحجز دور لتصليح موقدهم القديم في وقت سريع يؤمن لهم طهي طعامهم بعد أن عاشت عدد من العائلات خلال الأيام الماضية على تناول المعلبات والطهي باستخدام الحطب، لعدم توفر غاز الطهي.

قصة الكاز الأبيض

وأوضح "الباوبرجي" أبو محمد السباخي "٣٩ عامًا" أن الناس عادوا إلى استخدام البوابير بعد أن اكتشفوا أن بإمكانهم تشغيلها باستخدام المازوت المهرب من مصر بدلاً من الكيروسين، مشيرًا إلى أن الحاجة جعلتهم يضيفون ملح الطعام إلى المازوت، والانتظار بضع ساعات للحصول بعدها على كاز أبيض يمكنه تشغيل البوابير ولمبات الكاز وحتى المدفأت التي تعمل بالكاز دون أية مشاكل.

وقال السباخي: "إن الأيام علمته أن يعطي كل وقته لعمله، مشيرًا إلى أنه عاد إلى صنعته واستنجد بأبنائه لمساعدته في ظل الضغط والإقبال الشديد على تصليح البوابير ولمبات الكاز والمواقد الأخرى.

بابور زمان

وتقول أم محمد قشطة "٤٥ عامًا": إنها اضطرت إلى التفتيش في أثاث منزلها المخزون والمتروك من سنين، للبحث عن "بابور الكاز"، مؤكدة أن الابتسامة شقت طريقها إليها بعد أن عثرت على بابور زمان بين أكوام الأثاث. وقالت الأم المسكينة مخاطبة البابور: "أجا يومك يا بابور زمان" باعتباره المنقذ في ظل الأزمة التي يمر بها قطاع غزة. وتعود قشطة، وهي تستخدم بابور الكاز، بذاكرتها إلى أيام البلاد فتقول: "لم نكن نعرف أفران الغاز في الماضي وكل عملنا كان يقوم على بابور الكاز وفرن الطين.

وتحاول قشطة أن تساعد وتعلم بناتها المتزوجات كيفية عمل البابور خوفًا من شبوب حريق أو حرقه لهن، حيث تجهل معظم ربات البيوت صغيرات السن آلية عمل بابور الغاز ويرفضن استخدامه، إلا أنهن في آخر المطاف لن يجدن مفرًا من اللجوء إليه.

بدائل صعبة

أما أياد أبو شعر "٢٩ عامًا" صاحب محل لبيع "العوامة والمهلبية" فكان يبدأ كل يوم صباحه بإشعال فرن الغاز وبعد انقطاعه، قام بشراء مقلاة كبيره تعمل بالكهرباء وبعد انقطاع الكهرباء المتواصل، لم يكن أمامه سوى خيارين إما إغلاق محله والجلوس في البيت وانتظار وصول الغاز، أو استخدام بابور الكاز القديم من النوع الكبير الذي تحتفظ به أسرته منذ زمن لاستكمال عمله.

وأوضح أبو شعر أنه قرر استخدام البابور وإشعال النيران والحطب على الجلوس في البيت وأقفال محله، لافتًا إلى أنه أصبح يبدأ نهاره كل يوم بمحاولات شاقة لتشغيل "بابور الكاز".

وتتشابه فكرة عمل بابور الكاز الذي يستخدمه أبو شعر بالبابور المنزلي إلا أن حجمه أكبر ويعتمد في تشغيله على الكاز الأبيض، ويبدأ أبو شعر بالضغط على يد البابور لضخ الكاز إلى رأس العين لتشغيله ويتابع ذلك ويعطي كاز "ستيم" من وقت الى آخر حتى إنهاء "التحضير". وبين عودة البابور لتزعم بدائل قطع التيار الكهربائي وانعدام غاز الطهي تبقى الأسرة الفلسطينية في غزة تصارع الحصار أملاً في الوصول إلى شاطئ السلامة.

مصلح البوابير ابراهيم النمروطي، في خان يونس.

الحال

رئيسة التحرير: نبال ثوابتة

الإخراج: عاصم ناصر، وليد مقبول

التدقيق اللغوي: إياس قاسم

التوزيع: حسام البرغوثي

هيئة التأسيس
عارف حجاوي، عيسى بشارة
نبيل الخطيب، وليد العمري

الهيئة الاستشارية:
عبد الناصر النجار، غسان انضوني،
نبهان خريشة، هاني المصري

تصدر عن مركز تطوير الإعلام

جامعة بيرزيت

هاتف ٢٩٨٢٩٨٩ ص.ب ١٤ بيرزيت – فلسطين
alhal@birzeit.edu

المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها

السادة القراء، يسر مركز تطوير الإعلام بجامعة بيرزيت إعلامكم بأن جريدة الحال الشهرية الصادرة عنه، متوفرة في الضفة وغزة والقدس في مراكز التوزيع التالية:

بيت لحم
مكتبة عبيد الله – مركز المدينة
ميني ماركت الامل – باب زقاق
سوبر ماركت سوق الشعب – بيت ساحور
مكتبة الجامعة – بيت لحم

القدس
مكتبة البكري – شارع الزهراء
المكتبة العلمية – شارع صلاح الدين
سوبر ماركت الليداوية – البلدة القديمة
مكتبة دعنا – شارع صلاح الدين

نابلس
المكتبة الشعبية – شارع حطين
مكتبة دار العلوم – الدوار الرئيسي
سوبر ماركت مطاوع – المخفية
مكتبة الرسالة – شارع غرناطة

جنين
بقالة الدمج – مجمع الكراجات
سوبر ماركت المأمون – مدخل جنين
كشك ابو سيف

غزة
مكتبة فلسطين – شارع عمر المختار
مكتبة ابن خلدون – شارع الجلاء غزة
مكتبة طبيطي – شارع فهمي بيك غزة
مكتبة الاجيال – شارع تقاطع الوحدة
مكتبة الايام – منطقة الشمال
مكتبة العجرمي – جباليا
مكتبة القدس – رفح
مكتبة القدس – موقف التاكسيات دير البلح
مكتبة ابو معيلق – بجانب بلدية دير البلح
مكتبة عبد الكريم السقا – خان يونس

الخليل
سوبر ماركت الامانة – عين سارة
ميدان القدس – رأس الجورة
مكتبة الجامعة – الحرس
مكتبة عيسى ابو علان – الظاهرية
مكتبة الصحافة العربية – باب الزاوية

قلقيلية
ميني ماركت عناية
مكتبة الشنطي
ميني ماركت ابو الشيخ
المكتبة العلمية

اريحا
مكتب تكسي البترا – تحت البلدية
النبر سوبرماركت – الساحة العامة
مكتبة حتر – مركز المدينة

طولكرم
سوبر ماركت الاشقر
سوبر ماركت الصفا
محلات ابو راشد

رام الله
مكتبة الساريسي – المنارة
سوبرماركت الامين – المصيون
سوبرماركت الاصيل – الارسال
سوبر ماركت السنابل – بيتونيا
سوبر ماركت العين – الشرفة
سوبر ماركت الجاردنز – الطيرة
سوبر ماركت ابو العم – وسط البلد